

حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ  
فَبَلَّغُوا تَحَاسِبُوا

تأليف  
عبد الحميد كسك

المكتبة التوفيقية  
لحام الذهب الأخضر - سيناء الصين

## ﴿مقدمة الكتاب﴾

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين،  
وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيماً محمداً رسول الله.  
أما بعد...

فقد كان فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول:  
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ووزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإن مما  
يهون عليكم الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض  
الأكبر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾<sup>(١)</sup>.

رحمك الله يا أمير المؤمنين فأنت الرجل الذي ضرب الله الخنق على  
قلبه ولسانه، يا من كنت تخاف من الله تعالى خوف من يعتقد أن النار  
لم تخلق إلا له وحده فمن خاف سلم، لقد غصت في معاني آيات  
الحساب حتى بلغت إلى أعماق الأعماق وجرى دمعتك على خديك  
وخفق قلبك وجللاً وخوفاً من لقاء الله تعالى، وفهمت أن لقاء الله حق،  
واعتقدت أن البعث حق وأن الساعة حق وأن الجنة حق وأن النار حق،  
فصمت عن الدنيا وأفطرت على الموت وأعددت الزاد لليلة صبحها يوم  
القيامة.

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٨.

يا رافعاً راية الشورى وحارسها  
جزاك ربك خيراً عن مُحِبِّبِهَا  
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به  
رغم الخلاف ورأى الفرد يُشَقِّبِهَا  
إن جاع في شدة قوم شَرِكْتَهُمْ  
في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها  
جوع الخليفة - والدنيا بقبضته -  
في الزهد منزلة سبحان مولياها  
فمن يبارى أبا حفص ومسيرته  
أو من يحاول للفاروق تشبيها  
يوم انتهت روجه الحُلُوى فقال لها:  
من أين لى ثمن الحُلُوى فأشترىها؟  
مازاد عن قوتنا فالمسلمون به  
أولى فقومي لبیت المال رُدِّبِهَا  
كذلك أخلاقه كانت وما عَهِدَتْ  
بعد النبوة أخلاق تحاكياها  
وراع صاحب كسرى أن رأى عُمرَا  
بين الرعية عَطْلاً وهو راعياها  
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا  
ببردة كاد طول العهد يلبسها  
وعهده بملوك الفرس أن لها  
سُوراً من الجند والأحراس يحميها

رأه مستغرقاً في نومه فرأى  
فيه الجلالة في أسمى معانيها  
وقال قَوْلَةً حقَّ أصبحت مثلاً  
وأصبح الجيل بعد الجيل يروها  
أمنت لما أقامت العدل بينهم  
فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ العين هَانِيهَا  
قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها  
بنعمة الله حصناً من أعاديها

### أيها الأخ المسلم

لا تنس ما بعد الموت، فنسيانه ضلال مبين، فاذا كسر اثنين وانس  
اثنين، ولا تنهر اثنين واحفظ اثنين ولا تأمن اثنين على اثنين.  
اذكر الله والموت، وانس إحسانك إلى الناس، وإساءة الناس إليك،  
ولا تنهر أمك ولا أباك، واحفظ صمتك وأوقات فراغك، ولا تأمن امرأة  
على سر، ولا تأمن رجلاً على امرأة.  
واعمل عقلك وقلبك وفكرك في فهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ  
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لَا  
يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الحشر الآيات [١٨ : ٢٠].

## فصل فما يرقق القلب ويملؤه خشوعاً وخشية لله تعالى

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم صلاة وتسليماً يليقان بمقام  
نبي الله والمرسلين. وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن  
محمدًا عبده ورسوله وأشهد أن رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين.  
وعظمنا وحبيبنا محمدًا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين.  
وعلى آله وصحبه وسلم وبارك على هذا النبي الأمين، وعلى آله وصحبه الغر  
الميامين وأرحم اللهم مشايخنا، ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين  
جميعاً.

الحمد لله الذي لا تدركه الأوهام ولا الظنون ولا تحويه الأبصار ولا  
الحواس تناله الآفات ولا المتون، الذي أنزل الكتاب المكنون وأرسل  
الرحمة المتون وأخرج رطب الشار من يابس الغصون وخلق الإنسان  
من محض من حملاً منون وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.  
تدبر بقدرته الأشياء وتوالت برحمته الآلاء وانشقت بحكمته  
الآلاء واسماء، وكتب بمشيئته السعادة والهناء فيرحم من عباده من يشاء  
وما يشاء. الشافي صدر أولى الألباب النافي باتقان مصنوعاته كل  
شيء وبما يشاء. ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر  
تنتسبون.

تدبر حكمته أصناف الابتدعات، وقدر الأشياء من ماضي وآت وغفر  
بأنساب من الخلقيات «ومو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن  
سيئاتهم ويعلم ما تفعلون» (٢) مبدع الدهور بالأحداث ومصور الذكور  
والإناث «معت من في القبور فينهضون بالانبعاث» «ونفخ في الصور  
فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» (٣).

(١) سورة النور الآية ٢٠. (٢) سورة الشورى الآية ٢٥.  
(٣) سورة النور الآية ٥١.

«وجعل الشمس سراجاً» (١) «وأنزلنا من المعصرات ماء  
تجاجاً» (٢). «ولو نشاء لجعلناه جاجاً فلولا تشكرون» (٣).

الكريم الشكور الرحيم الغفور المتزه في أقضيته عن أن يظلم أو  
يجور «الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم  
الذين كفروا بربهم يعدلون» (٤). مالك الأشياء بالطول والعرض وقبل  
من عباده السن والفرض وإليه المآب والعرض. «وله من في السماوات  
والأرض كل له قانتون» (٥).

أتقن خلق الإنسان وأبدع وركب فيه حركاته وأودع «وهو الذي  
أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع. قد فصلنا الآيات لقوم  
يفقهون» (٦). أوضح سبيل الرشاد وبين مسالكه، وأسبغ على العباد نعمه  
المتداركة ونور وجوه الموحدين فهي مسفرة ضاحكة «لا يحزنهم الفزع  
الأكبر وتتلقاهم الملائكة. هذا يومكم الذي كنتم توعدون» (٧)!!

أرسل من المعصرات الماء إلى الأرض، وأنزل وأسبغ بفضل الآلاء،  
وحول وقضى على خلقه بما شاء وأجزل. «لا يسأل عما يفعل وهم  
يسألون» (٨). أتقن صنعة خلق العالم وأحكم وجاد عليهم بغنائز رزقه،  
وأنعم ويدرك بهم السر المكنون المبهم «لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما  
يعلمون» (٩). رب المشرقين ورب المغربين ومنور الكون بالنيرين «ومن  
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» (١٠) أفاض على أوليائه من  
جزيل نعمائه فضلاً ونوالاً وأعد لأعدائه من عذابه وبالاً ونكالاً وحجبههم

(١) سورة نوح الآية ١٦. (٢) سورة النبا الآية ١٤.  
(٣) سورة الواقعة الآية ٧٠. (٤) سورة الأنعام الآية ١.  
(٥) سورة الروم الآية ٢٦. (٦) سورة الأنعام الآية ٩٨.  
(٧) سورة الأنبياء الآية ١٠٣. (٨) سورة الأنبياء الآية ٢٣.  
(٩) سورة النحل الآية ٢٣. (١٠) سورة الذريات الآية ٤٩.

عن إدراكه فلا يتوهمون له شيئا ولا مثالا ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾<sup>(١)</sup>.

ليس كمثله شيء ولا لنشر فضله طي ولا يعترى المهتدى إلى سبيله في... ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾<sup>(٢)</sup> أحمد، حمدا يتقرب به المتقربون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي العربي الأمين المأمون... صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأرواحه وذريته الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

ويعد: فهذه ذكرى وغبر، والذكرى تنفع المؤمنين.

## فصل

إياك والجبين وكن شجاعاً واعلم بأنه

لا يملك الروح والرزق إلا الله تعالى

وعن هذا الداء الخطير وهو الجبن نقتطف كلمات للإمام الشيخ

محمد عبده:

يقول رحمه الله تعالى: ما العلة في إخلاد الجمهور الأعظم من بنى الإنسان إلى دنيايات المنازل وقصورهم عن الوصول إلى ما أعدته لهم العناية ويستفزه إلى الميل الغريزي خصوصاً وإن كانت النفوس مؤمنة بعدل الله مصدقة بوعدده ووعيده ترجو ثواباً على الباقيات الصالحات وتخشى عقاباً على ارتكاب الخطيئات... وتعترف بيوم العرض الأكبر

(١) سورة النحل الآية ١.

(٢) سورة الروم الآية ١٩.

يوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾<sup>(١)</sup>.

ماذا يقعد بالنفوس عن العمل الصالح؟

ماذا ينحدر بها في مزالق الزلل؟

إذا ردت المسيات إلى أسبابها وطلبت الحقائق من حدودها ورسومها: وجدنا لهذا علة هي أم العلل، ومنشأ يقرن به كل جلل وهو (الجبين)... وعن أضرار الجبن قال: «الجبين هو الذي أوهمي دعائم الممالك فهدم بناءها».

هو الذي قطع روابط الأمم فحل نظامها. هو الذي أوهم عزائم الملوك فأنقلبت عروشهم، وأضعف قلوب العالمين فسقطت بروجهم وهو الذي يغلق أبواب الخير في وجوه الطالبين ويطمس معالم الهداية عن أنظار السائرين.

يسهل على النفوس احتمال المذلة، ويخفف عليها مضض المسكنة، ويعون عليها حمل نير العبودية الثقيل، يوطن النفس على تلقى الإهانة بالصبر والتذليل وبجلد ويوطن الظهور الجائبة لأحمال المصاعب أثقال عما كان يتوهم عروضه عند التحلى بالشجاعة والإقدام.

والجبين: يلبس النفس عاراً عند كل روح ركية وهمة عالية.

والجبين: مرض من الأمراض الروحية يذهب بالقوة الحافظة للوجود التي جعلها الله ركناً من أركان الحياة الطبيعية. وله أسباب كثيرة لو لوحظ جوهر كل منها لرأينا جميعها يرجع إلى الخوف من الموت.

والموت: مآل كل حي ومصير كل ذي روح.

ليس للموت وقت يعرف ولا ساعة تعلم، ولكنه فيما بين النشأة ونزول العمر ينتظر في كل لحظة ولا يعلمه إلا مقدر الأجل... جل

(١) سورة الزلزلة الآية [٧ - ٨].

أرى نفس ساذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض  
شد الخوف من الموت إلى حد يورث النفس هذا المرض  
الغفلة عن الصير المحتوم والذهول عما أعده الله للإنسان  
ومعاودة الآخرة إذا صرف قواه الموهوبة فيما خلقت

الإنسان عن نفسه فيظن ما جعله الله واقياً للحياة وهو  
مسيباً في الفناء يحسب الجاهل أن فى كل خطوة  
أن فى كل خطوة خطراً مع أن نظرة واحدة لما بين يديه من  
وما ناله طلاب المعالي من الفور بآمالهم، وما ذللوا من  
سورهم تكشف له أن تلك المخاوف إنما هى أوهام وأصوات  
شياطين. غشيته فأدهشته، وعن سبيل الله صدته ومن

تنصبه صروف الدهر وغوائل الأيام لتشتت به نفوس  
الأمم والشعوب. هو حباله الشيطان يصيد بها عباد الله

رذيلة ونشأ لكل خصلة ذميمة لا شفاء إلا وهو مبداه  
جورثومته ولا كفر إلا وهو باعته وموجه.

أعانت ومنقطع روابط الصلات، هارم الجيوش ومنكس  
السلطين من سماء الجلالة إلى أرض المهانة!

الذى يحمل الخائنين على الخيانة فى الحروب كما أنه  
أهدى الأولياء لدينة الارتشاء، وأن الخوف من الفقر  
إلى الخوف من الموت وهو علة الجبن.

وشنار على كل ذى فطرة إنسانية. خصوصاً الذين  
سوله واليوم الآخر ويؤمنون أن ينالوا جزاء أعمالهم أجراً

### واجب المسلمين

وعن واجب المسلمين قال: (ينبغي أن يكون أبناء الملة الإسلامية  
بمقتضى أصول دينهم أبعد الناس عن هذه الصفة الرديئة (الجبن) فإنها  
أشد الموانع عن أداء ما يرضى الله وأنهم لا يتغفون إلا رضاه.

يعلم قراء القرآن أن الله قد جعل حب الموت : علامة الإيمان،  
وامتنحن به الله قلوب المعاندين يقول فى ذم من ليسوا بمؤمنين: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** (١)  
إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب  
عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية  
وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب **﴿﴾** (١).

الإقدام فى سبيل الحق وبذل الأموال والأرواح فى إعلاء كلمته،  
أوسمة يتسم بها المؤمنون. لم يكتف الكتاب الإلهى بأن تقام الصلاة  
وتؤتى الزكاة وتكف الأيدي، وعد ذلك مما يشترك فيه المؤمنون  
والكافرون والمتأفقون، بل جعل الدليل الفرد هو بذل الروح فى إعلاء  
كلمة الحق والعدل الإلهى بل عده الركن الوحيد الذى لا يعتد بغيره عند  
فقدته. لا يظن أنه يمكن الجمع بين الدين الإسلامى وبين الجبن فى قلب  
واحد.

كيف يمكن هذا وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة ويصور  
الإقدام، وأن عماده الإخلاص لله والتخلى عن جميع ما سواه  
لاستحصال رضاه. المؤمن من يؤمن أن الأجل بيد الله يصرفها كيف  
يشاء، ولا يفيد: التباطؤ عن الفروض زيادة فى الأجل ولا ينقصه الإقدام  
دقيقة منه.

المؤمن من لا ينتظر بنفسه إلا إحدى الحسنين إما أن يعيش سيدياً  
عزيزاً وإما أن يموت مقرباً سعيداً. وتصعد روحه إلى أعلى عليين  
ويلتحق بالأكربين والملائكة المقربين.





... فافوا وهم قد رأوا ما عاناه من مصاعب الحياة خلال ثلاث وعشرين سنة متتالية، لاقى فيها من الشدائد ما تنوء الجبال عن حمله في شتى سهل الحياة. وأى موقف أشد من موقفه (يوم أحد) ... حين ولى المسلمون وسار وهو يصعد الجبل ورجال قريش يشتدون في تتبعه ... مونه، حتى كسرت رباعيته.

وأى موقف أشد هولاً من موقعة (يوم حنين) حين ولى المسلمون حماية الصبح مولية الأدبار وهو ينادى في المسلمين (إلى أين ...؟ أين ...؟ إلى ...؟) حتى عادوا وحتى انتصروا.

وأى مجهود أشق من مجهود الرسالة والوحى، وهذا المجهود المسمى المضى في اتصاله بسر الكون والملا الأعلى؟ «يا أيها المزمّل» الليل إلا قليلاً. نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتل القرآن ... إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً. إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم ... (١)

وهذا المجهود في تلقى أوامر الله والذي روى بسببه عن النبي ﷺ قال: (شيتى هود وأخوانها) ... قبل: وما شيك فيهما قال: قوله «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تظفوا» إنه بما تعملون ... (٢)

رأى أصحاب رسول الله ﷺ هذا كله، ورأوه يحمل العبء صلباً لا يعرف المرض إليه طريقاً فإذا مرض بعد ذلك: فمن حق أصحابه ... فافوا وأن يتمهلوا في السير من معسكرهم (بالحرف) إلى الشام حتى ... نفوسهم إلى ما يكون من أمر الله في نبيه ورسوله ﷺ.

وهذا حادث وقع جعلهم أشد خوفاً: فقد استيقظ رسول الله ﷺ ما بدا يشكو وطال أرقه وحدثه نفسه أن يخرج في ليل تلك الأيام

سورة الزمل الآيات [١: ٦].

سورة هود الآية ١١٢.

الريقة النسيم فيما حول المدينة ... وخرج ولم يستصحب معه أحداً إلا مولا (أبا مويهبة).

أفندرى أين ذهب؟

ذهب إلى (بقيع الغرقد) حيث مقابر المسلمين على مقربة من المدينة فلما وقف بين المقابر قال يخاطب أهلها: (هنيئاً لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن تقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها والآخرة شر من الأولى).

وقد حدث «أبو مويهبة» أن النبي ﷺ قال له أول ما بلغنا (بقيع الغرقد): (إني أمرت أن استغفر لأهل هذا البقيع ... فانطلق) فلما استغفر لهم وأن له أن يؤوب: أقبل على «أبي مويهبة» فقال له: (يا أبا مويهبة: إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها، ثم الجنة فخيرت بين ذلك بين لقاء ربي والجنة).

قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: (لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة).

أصبح رسول الله ﷺ في الغداة، ومر بعائشة -رضى الله عنها- فوجدها تشكو صداعاً في رأسها وتقول: وراساها! فقال لها: وقد بدأ يحس ألم المرض: بل أنا والله يا عائشة ... وراساها.

لكن شكواه لم يكن قد اشتد إلى الحد الذي يلزمه الفراش أو يحول بينه وبين ما عود أهله وأزواجه من تلتطف.

وكررت عائشة -رضى الله عنها- - الشكوى من صداعها حين سمعته يشكو به فقال لها: (وما لو مت قبلي، فقممت عليك وكفتك وصليت عليك ودفنتك)؟

وآثارت هذه الملاحظة حب الحياة في نفس عائشة -رضى الله عنها-



فأجابت: (ولیکن ذلك حظ غیری! والله لکائی بک لو قد فعلت ذلك: لقد رجعت إلى بیتک فأعرست فيه ببعض نسائك). وتبسم النبی ﷺ.

فلما سکن عنه الألم بعض الشيء: قام بتفقد حال أهله، لکن الألم جعل يعاوده، فتزداد به شدته حتى إذا کان فی بیت أم المؤمنین (میمونة بنت الحارث) -رضی الله عنها- لم یطق، فغالبه الألم ورأى نفسه فی حاجة إلى تمريض.

هنالك دعا نساءه إلیه فی بیت میمونة واستأذنهن بعد أن رآهن حاله أن یمرض فی بیت عائشة وأذن له أزواجه فی الانتقال.. فخرج عاصباً رأسه یعتمد فی مسيرته علی (علی بن أبی طالب) -کرم الله وجهه- وعلی عمه (العباس) وقدماه لا تکادان تحملانه حتى دخل بیت (عائشة) -رضی الله عنها- وزادت به الحمی فی الأيام الأولى من مرضه حتى لکان یشعر کان به منها لهاً.

لکن ذلك لم یکن یمنعه ساعة تنزل به الحمی من أن یمشی إلى المسجد لیصلی بالناس. وظل علی هذا عدة أيام لا یزید علی الصلاة ولا یقوی علی محادثة أصحابه ولا خطابهم.

ولما اشتدت علیه الحمی أمر أزواجه أن یصبین علیه بعض قرب الماء.. ففعلن ذلك ثم قام فلبس ثیابه وعصب رأسه وخرج إلى المسجد وجلس علی المنبر، فحمد الله وأثنى علیه ثم صلی علی أصحاب (أحد) واستغفر لهم وأكثر من الصلاة علیهم ثم قال: (ایها الناس أنفذوا بعث «أسامة» فلعمری لئن قلت فی إمارته لقد قلت فی إماره أبیه من قبله وإنه لخلق للإماره وإن کان أبوه لخليقاً لها). ثم سکت هنیهة خیم الصمت علی الناس أثناءها ثم عاد إلى الحديث فقال: (إن عبداً من عباد الله خیره الله بین الدنيا والآخرة وبین ما عنده.. فاختار ما عند الله)!!.

وسکت الرسول ﷺ من جدید، والناس کأنما علی رؤوسهم الطیر.. ولکن أباً بکر -رضی الله عنه- أدرك أن النبی ﷺ إنما یعنی

بهذه العبارة الأخيرة نفسه، فلم یستطع لرقه وجدانه وعظیم صداقته لرسول الله ﷺ أن یسک عن البكاء فأجهش وقال: بل نحن نفدیک بأنفسنا وأبنائنا!.

وخشى رسول الله ﷺ أن تمتد عدوی التأثير من أبی بکر إلى الناس فأشار إلیه قائلاً: (علی رسلك!!) ثم قال: (إنی لا أعلم أحداً کان أفضل فی الصحبة عندی یذاً منه وإنی لو كنت متخذاً من العباد خلیلاً لاتخذت أباً بکر خلیلاً ولکن صحبة وإخاء إیمان حتى یجمع الله بیننا عنده).

ونزل الرسول ﷺ عن المنبر یرید أن یعود بعد ذلك إلى بیت عائشة علی أنه لم یلبث أن التفت إلى الناس وقال: (یا معشر المهاجرین: استوصوا بالأنصار خیراً فإن الناس یزیدون والأنصار علی هیتها لا تزید وإن کتروا عیبتی «یعنی خاصتی وموضع سری» التي أویت إلیها فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسیئهم).

ودخل رسول الله ﷺ بیت عائشة رضی الله عنها. أی مجهود بذل فی هذا الیوم؟..

إنه الرسول الذی یشغله أكبر الشواغل. جيش «أسامة».. ومصیر الأنصار من بعده.. ومصیر هذه الأمة التي ربط الإسلام بأقوی الأواصر وأمن الروابط بینها. لذلك حاول أن یقوم فی غده لیصلی بالناس إماماً کعادته فإذا هو لا یقدر إذ ذاک قال: (مروا أباً بکر فلیصل بالناس). قالت عائشة: إن أباً بکر رجل رقیق ضعیف الصوت کثیر البكاء إذا قرأ القرآن قال رسول الله ﷺ: (مروه فلیصل بالناس).

فكررت عائشة -رضی الله عنها- وقالت: فلو أمرت عمر؟ فصاح رسول الله ﷺ والمرض یهزه: إنکن صواحب یوسف: مروه فلیصل بالناس، وقام أبو بکر فصلی بالناس إماماً!!.

وبلغت بالرسول ﷺ شدة المرض حداً أنه ذلك أن الحمى زادت به حتى لقد كانت عليه قطيفة فإذا وضع أرواجه وعواده أيديهم من فوقها شعروا بحر هذه الحمى المضيئة.

وكانت ابنته فاطمة تعود كل يوم وكان يحبها . . ذلك الحب الذي يمتلئ به وجود الرجل للابنة الوحيدة الباقية له من كل عقبه . . . لذلك كانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه!! فلما بلغ منه المرض هذا المبلغ: دخلت عليه فقبلته فقال: (مرحباً يا ابنتي . .) ثم أجلسها إلى جانبته وأسر إليها حديثاً فبكت ثم أسر إليها حديثاً آخر فضحكت . . فسألتها عائشة في ذلك، فقالت: ما كنت أفشى سر رسول الله ﷺ . . فلما مات ذكرت أنه أسر إليها أنه سيقبض في مرضه هذا فبكت، ثم أسر إليها أنها أول أهله يلحقه فضحكت!!

وكانوا لا اشتداد الحمى به يضعون إلى جواره إناءً بارداً من ماء بارد، فما يزال يضع يده فيه، ويمسح بها على وجهه ﷺ. وكانت الحمى تعصل به حتى يغشى عليه أحياناً ثم يفيق وهو يعاني منها أشد الكرب . . حتى قالت فاطمة يوماً وقد هز الألم نفسها لشدة ألم أبيها . . واكرب أبناها!

فقال: (لا كرب على أبيك بعد اليوم!) يريد أنه سيتنقل من هذا العالم: عالم الآسى والألم إلى الرفيق الأعلى من الجنة.

وتناقل الناس ما بلغ من اشتداد المرض بالنبي ﷺ حتى هبط «أسامة» وهبط الناس معه من (الجرف) إلى المدينة ودخل أسامة على النبي ﷺ في بيت عائشة -رضي الله عنها- فإذا هو قد أصمت فلا يتكلم، فلما أبصر أسامة جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على أسامة علامة الدعاء له.

المال الذي تركه النبي ﷺ: وما أثر عنه ﷺ أنه كان في بيته سبعة

دنائير أول ما انتد به المرض خاف أن يقبضه الله إليه وما تزال باقية عنده . . فأمر أهله أن يتصدقوا بها . . لكن اشتغالهم بتريضه والقيام على خدمته واطراد المرض في شدته أنساهم تنفيذ أمره.

فلما أفاق يوم الأحد الذي سبق وفاته من إغمائه سألهم: ما فعلوا بها؟ فأجابت عائشة: إنها ما تزال عندها فطلب إليها أن تحضرها. ووضعها في كفه ثم قال: ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه 11؟ ثم تصدق بها جميعاً على فقراء المسلمين. وقضى رسول الله ﷺ ليله هادئاً مطمئناً نزلت عنه الحمى.

وبلغ من ذلك أن استطاع أن يخرج ساعة الصبح إلى المسجد عاصباً رأسه معتمداً على (علي بن أبي طالب) و(الفضل بن العباس) -رضي الله عنهما-.

وكان أبو بكر ساعته يصلي بالناس. فلما رأى المسلمون النبي ﷺ وهم في صلاتهم قد خرج إليهم: كادوا يفتنون فرحاً به فتفرجوا (أي وسعوا). . فأشار إليهم أن يشتروا على صلاتهم. وسر رسول الله ﷺ بما رأى من ذلك أكبر سرور واعتبط له أعظم الغبطة.

وأحسن أبو بكر -رضي الله عنه- بما صنع الناس وأيقن أنهم لم يفعلوه إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه يريد أن يتخلى لرسول الله ﷺ عن مكانه. فدفعه الرسول ﷺ وقال له: (صل بالناس) وجلس هو إلى جنب أبي بكر -رضي الله عنه- فصلى قاعداً عن يمينه.

فلما فرغ من صلاته: أقبل على الناس رافعاً صوته حتى سمعه من كان خارج المسجد فقال: (أيها الناس: سمعوت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم وإني والله ما تمسكون على شيء: إني والله لم أحل إلا ما أحل القرآن ولا أحرم إلا ما حرم القرآن لعن الله قوماً اتخذوا قبورهم مساجد).

ولقد عظم فرح المسلمين بما رأوا من مظاهر التقدم في صحة النبي

به امره بن زيد يستدفن في ميرة الجيش إلى لته  
 قالوا: يا نبي الله حي لحيته قد أصبحت نعمة  
 على اليوم يوم (بنت خاريجة) يعني زوجته، أفتيد؟  
 وانتقل نوبكر إلى تسنح (مكان بأحرق  
 وانصرف عمر وعلي ثنونهما، وهرق  
 مستبشر بعد أن كانوا إلى أمس عابسين مغريرين  
 ومرفه واشتد الخي به وإخامه  
 عائشة والسيرة لروية هؤلاء المسلمين الذين قد  
 قلبه وإن كان يحس جسمه ضعفا غاية الضعف  
 هذا الرجل العظيم الثرى يمتلئ قلبها إكبره  
 لتد إليه لقوة واجبة!!  
 إلى المسجد لم يكن إلا الصحو الذي بين  
 بعد دخوله إلى بيت في كل لحظة ضعفا وكان  
 من لديه ريب من أنه لا يزال في الحيرة لا  
 له حركات: إنه في هذا يوم القافظ من به  
 كان فيه ماء بارد كان يخب فيه ويمسح به  
 إلى أبي بكر - رضى الله عنه - دخل على عائشة  
 وعلى يده سواك فطر إليه رسول الله ﷺ نظر في  
 أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - من ما  
 لان وأعطته يده فاستقر به  
 التزع: توجه إلى الله يديه: (اللهم أعني من  
 عائشة - رضى الله عنه - وكان رأس النبي ﷺ  
 في حجرها: وجلت راحة رسول الله ﷺ حتى  
 في وجهه فذا به في شخص وهو بخير:

(بل الرفيق الأعلى من الجنة) قلت: خيبرت فاختبرت والذي بعثك  
 بالحق!!  
 وقبض رسول الله ﷺ:  
**دفن الرسول ﷺ** اختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى، وفوجئ  
 المسلمون بهذا النبأ الأليم وهم بالمسجد فقد راوه ﷺ في الصباح وكل  
 شيء يدل على أنه عوفي.. مما جعل أبا بكر يذهب إلى روجه (بنت  
 خاريجة) بالسبح لذلك أسرع عمر - رضى الله عنه - إلى حيث كان  
 جثمان النبي ﷺ وهو لا يصدق أنه مات.. ذهب فكشف عن وجهه  
 فالفاه لا حراك به فحبه في غيبوبة لا بد أن يفنى منها.  
 وعيناً حاول (المغيرة بن شعبه) إقناعه بالحقيقة الأليمة.. فقد ظل  
 مؤمناً بأن رسول الله ﷺ لم يمت فلما ألح (المغيرة) عليه قال له عمر:  
 كذبت!! وخرج معه إلى المسجد وهو يصيح: أن رجالا من المنافقين  
 يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه  
 كما ذهب موسى بن عمران.. فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع  
 إليهم بعد أن قيل إنه مات والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى  
 عليه السلام فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات.  
 واستمع المسلمون بالمسجد إلى هذه الصيحات من جانب عمر  
 - رضى الله عنه - يرسل الواحدة تلو الأخرى، وهم في حال أشبه شيء  
 بالذهول.. إلا إن كان محمد قد مات حقاً فواحر قلباه! وبالله  
 الناصب لأولئك الذين راوه وسمعوا له وآمنوا بالله الذي بعثه بالهدى  
 ودين الحق.. هم يذهل القلب ويذهب باللب.  
 أما إن كان محمد قد ذهب إلى ربه كما يقول عمر - فذلك ادعى  
 للذهول.. وانتظار أوبئه حتى يرجع كما رجع موسى: أشد إيماناً في  
 العجب!!  
 لذلك أحاطت جموعهم بعمر - رضى الله عنه - وهم أدنى إلى

جنات نفسه  
وخله . .  
بعد الهداية

داه وإرشاده  
يوم الهجرة

نى وراء هذا  
مرور نسمة

وينظر فوقه

زول المصاب .  
العزة حيث  
هم الخالدون .  
مون<sup>(١)</sup> .

وأخلص العمل . . فإن الك  
وخفف الحمل . . فإن العق  
لقد مات خير خلق الله وه  
الزاد الليلة صباحها يوم القيامة .

لقد انتقل سيد المرسلين ص  
واعمل للدنيا بقدر مقامك  
واعمل للآخرة بقدر بقاءك  
واعمل للجنة بقدر اشتياقك  
واعمل للنار بقدر صبرك عا  
واعلم بأن من أراد مؤناً :

ومن أراد حجة فالقرآن يكف  
ومن أراد الغنى فالقناعة تكة  
ومن أراد واعظاً . . فالمرت  
ومن لم يكفه شيء من هذا

زيار

﴿يا أيها الناس اتقوا ربك  
نرونها تذلل كل مرضعة عما  
وترى الناس سكارى وما هم بسك  
اعلم أخى أن القبر أول درجة  
فعندما يموت العبد فإنه يضع  
يدخل عالم البرزخ .

وعالم البرزخ : محيط أعنف

(١) سورة الحج الآيات [ ١ ] ، [ ٢ ] .

تصديقه وإلى الإيمان بأن  
فكيف يموت وقد  
الجهورى وإلى دعائه و  
اصطفاه لتبليغ رسالت  
(كسرى) وأن يدين له (ه  
وكيف يموت وهو  
متوالية وأحدثت فيه أعنف  
النساء هناك مارلن  
ههنا بالمسجد ما فتى ي  
موسى بن عمران ، وبأن  
المنافقون الذين سيضرب  
!! .

أى الأمرين يصدق  
لقد أخذهم الفزع أ  
عنه- تبعث إلى نفوسهم  
أمانتهم ويصورون منها لا  
وانهم لذلك : إذ  
الفادح وبصر بالمسلمين  
إلى شيء ، بل قصد إلى  
فألقى النبی ﷺ مسجى فى ناحية من البيت عليه برد حيرة فأقبل حتى  
كشف عن وجهه ثم أقبل عليه يقبله وقال : ما أطيبك حياً . . وما أطيبك  
ميتاً . !! .

ثم إنه أخذ رأس النبی ﷺ وسلم بين يديه وحقق فى معارف  
وجهه وقال : (بأى أنت رامى ! أما المودة التى كتب الله عليك فقد ذقتها  
ثم لن تصيبك بعدها مودة أبداً) .

ش الشريف إلى الوسادة ورد البرد على وجهه وخرج  
لم الناس ويقنعهم بأن رسول الله ﷺ لم يموت وفتح  
رضى الله عنه- طريقاً .

عمر ناداه : على رسلك يا عمرا ! أنصت ! لكن عمر  
بنصت واستمر يتكلم فأقبل أبو بكر -رضى الله عنه-  
إليهم بأنه يكلمهم . . . ومن . . . كسابى بكر فى هـ  
الصديق صفى النبی ﷺ ومن لو اتخذ النبی خليلاً  
ليلاً .

الناس إلى تلبية دعوته وانصرفوا إليه عن عمر .  
ليه ثم قال :

من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان  
حى لا يموت . ثم تلا قوله تعالى : ﴿وما محمد إلا  
من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم  
قبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾<sup>(١)</sup> .  
-رضى الله عنه- قد أنصت حين رنى انصراف الناس

با بكر يتلو هذه الآية : غمر إلى الأرض . . ما تحمله  
سول الله ﷺ قد مات . . وأما الناس فقد أخذوا من  
قبل بأقوال عمر -رضى الله عنه- حتى لقد ألفوا أنفسهم إذ سمعوا هذه  
الآية يتلوها أبو بكر كأنهم لم يكونوا يعلمون أنها نزلت . . وكذلك راي  
القلوب كل شيء فـ  
قد قبضه إليه !! . أ  
دعا الناس إلى مثل  
كلا . . .

(١) سورة آل عمران الآية

قال جل شأنه: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت.. قال رب ارجعوني .  
لعلى أعمل صالحاً فيما تركت . كلا إنها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم  
برزخ إلى يوم يبعثون﴾<sup>(١)</sup>. والبرزخ هنا: هو الحاجز الزماني الذي يفصل  
ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم  
إليه ترجعون﴾<sup>(٢)</sup>. هذه الآية الكريمة جمعت الأزمان الثلاثة في جلال  
وجمال ... جمعت الأزمان والآباد والآبدا .

﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث .. فإننا خلقناكم من  
تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين  
لكم .. ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم  
لنبلغوا أشدكم .. ومنكم من يتوفى .. ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي  
لا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة .. فإذا أنزلنا عليها الماء  
اهتزت، وريت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه  
يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن  
الله يبعث من فى القبور﴾<sup>(٣)</sup>.

### نداء القبور

أتدري - يا ابن آدم - ماذا يقول القبر بلسان حاله؟ إنه يناديك  
ويخاطبك بكلمات يتفطر لها القلب وينخلع من هولها الفؤاد.  
روى عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: (خرجنا مع رسول الله  
ﷺ فى جنازة ، فجلس إلى قبر منها فقال: ما يأتى على هذا القبر يوم  
إلا وهو ينادى بصوت ذلق طلق: يا ابن آدم: نسيتنى ألم تعلم أنى بيت  
الوحدة؟ وبيت الغربة؟ وبيت الوحشة؟ وبيت الدود؟ وبيت الضيق؟ إلا

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨ .

(١) سورة المؤمنون الآية [١٩ ، ١٠٠].

(٣) سورة الحج الآيات [٥ : ٧].

من وسعنى الله عليه؟ قال رسول الله ﷺ: «القبر إما روضة من رياض  
الجنة أو حفرة من حفر النار» - رواه الطبراني .  
ولقد ركز رسول الله ﷺ تركيزاً قوياً على هذه الحقيقة العليا، وهى  
ذكر الموت، كما أخبرنا بذلك عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما-  
قال:

أتيت انبى ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار فقال:  
يا نبى الله: من أكيس الناس، وأحزم الناس؟ قال: أكثرهم ذكراً  
للموت وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس .. ذهبوا بشرف الدنيا  
وكرامة الآخرة - رواه ابن أبى الدنيا.

وفى رواية ابن ماجه، لفظه: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أى المؤمنين  
أفضل؟ قال: أحسنهم خلقاً. قال فأى المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم  
للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً .. أولئك هم الأكياس». ولقد  
قلت لنفسى وأنا بين المقابر:

هل رأيت الأمن والراحة إلا فى الخفائر؟

فأشارت فإذا للدود عبث فى المحاجر

ثم قالت: أيها السائل إنى لست أدري

انظري : كيف تساوى الكل فى هذا المكان

وتلاشى فى نفايا العبد رب الصولجان!

والتقى العاش والغالى .. فما يفترقان!

أفهدا متتهى الأمر؟ فقالت: لست أدري

أيها القبر تكلم وأخبرينى يا رمام.

هل طوى أحلامك الموت وهل مات الغرام

من هو الميت .. من عام .. ومن مليون عام

أتمنى: أننى أدري: ولكن لست أدري.





وردى مسلم عن جرير بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة: فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم .. ومن سن في الإسلام سنة سيئة: كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

### ما ينفعه من أعمال غيره

- يتساءل العلامة ابن القيم فيقول:

- هل تنتفع بأرواح الموتى بشيء من سعى الأحياء .. أم لا؟  
ثم يجيب قائلا: إنها تنتفع من سعى الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير. أحدهما: ما نسب إلى الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمون له واستغفارهم له، والصدقة أو الحج أو يرى الإمام أحمد، ومعه جمهور السلف: وصول الصوم والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر.  
وقد نص على هذا: الإمام أحمد في رواية محمد بن يحيى الكحال .. قال:

قيل لأبي عبد الله: الرجل يعمل الشيء من الخير: من صلاة أو صدقة، أو غير ذلك، فيجعل نصفه لأبيه أو لأمه؟  
قال: (الميت يصل إليه كل شيء: من صدقة أو غيره) وقال أيضا: اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله أحد وقل: اللهم إن فضله لأهل المقابر.  
وهناك آراء أخرى في هذه المسألة، رأينا الإمساك عن ذكرها ..  
تيسيرا على القارئ.

### الأدلة على ما سبق

الدليل على انتفاعه بما نسب إليه في حياته: ما رواه مسلم في

صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». فاستثناء هذه الثلاث من عمله: يدل على أنها منه، فإنه هو الذي تسبب فيها.

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أكراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

وفي المسند عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم .. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وقد دل على هذا: قوله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» فإذا كان هذا في العذاب والعقاب، نفى الفضل والثواب أولى وأحرى.  
ومن الأدلة كذلك: ما نطق به القرآن الكريم وأنت به السنة المطهرة ورآه الإجماع.

### أما القرآن:

فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْضِرْ لَنَا لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(١)</sup>. فأنى الله سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء: إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة.

(١) سورة الحشر الآية ١٠.

وفي السنن:

من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء».

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قام النبي ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم غفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجة وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار».

وفي السنن أيضاً عن واثلة بن الأسقع قام ﷺ على رجل من المسلمين فسمعه يقول: اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم».

ومن حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصين قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون... نسأل الله لنا ولكم العافية».

وفي صحيح مسلم أن عائشة -رضي الله عنها- سألت النبي ﷺ كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور؟ قال: قل: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، فيرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» وفي صحيح مسلم أيضاً عنها -رضوان الله عليها- أن رسول الله ﷺ خرج في ليلتها من آخر الليل إلى البقيع

فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأناكم ما توعدون غدا مزجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل الفرد».

وقد جاء أن الله يرفع درجة العبد في الجنة فيقول: أتى لي هذا؟ فيقال: بدعاء ولدك لك.

### وصول ثواب الصدقة

عقد العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى- فصلاً في ذلك فقال: وأما وصول ثواب الصدقة: ففي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توصى وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم».

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم. قال: فإني أشهدك أن حاطى المخراف صدقة عنها.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبى مات وترك مالا، ولم يوص فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم».

وفي السنن ومسنند أحمد عن سعد بن عبادة أنه قال: «يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأى الصدقة أفضل؟ قال: الماء». فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعد.

وعن عبد الله بن عمرو أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام بن العاص نحر خمسين وخمسين، وأن عمرًا سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «أما أبوك فلو أقر بالتوحيد نصمت وتصدق عنه نفعه ذلك» - رواه الإمام أحمد.

## وصول ثواب الصيام

قال العلامة ابن القيم رحمة الله عليه:

وأما الدليل على وصول ثواب الصوم إلى الميت فما روى في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام: صام عنه وليه».

وفي الصحيحين أيضاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: أمي ماتت وعليها صوم شهر.. أفأقضيه عنها؟ قال: نعم.. فدين الله أحق أن يقضى».

وفي رواية: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: أفرايت لو كان على أمك دين فقبضته: أكان يؤدي ذلك عنها. قالت: نعم، قال فصومي عن أمك».

وهذا اللفظ للبخاري وحده تعليقا.

وعن بريدة -رضي الله عنه- قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت فقال: وجب أجرك وردها عليك الميراث فقالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها» رواه مسلم.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- «أن امرأة ركب البحر فنذرت إن الله نجأها أن تصوم شهرا فنجأها الله، فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها أو أختها إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن تصوم عنها» - رواه أهل السنن والإمام أحمد.

وكذلك روى عنه ﷺ وصول ثواب بدل الصوم وهو الإطعام:

ففي السنن: عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ «من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكين» - رواه الترمذي.

قال الترمذي: ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، والصحيح عن ابن عمر من قوله موقوفاً.

وفي سنن أبي دواد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «إذا مرض الرجل في رمضان ولم يصم أطعم عنه ولم يكن عنه قضاء وإن نذر: قضى عنه وليه».

## وصول ثواب الحج

قال العلامة ابن القيم رحمة الله عليه:

وأما وصول ثواب الحج: ففي صحيح البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها. أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالقضاء».

وقد تقدم حديث بريدة وفيه: «إن أمي لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها».

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «إن امرأة سنان بن مسلمة الجهني سألت رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج أفيجزئ أن تحج عنها؟ قال: نعم. لو كان على أمها دين فقضته عنها ألم يكن يجزئ عنها» رواه النسائي.

وروى أيضاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن «امرأة سألت النبي ﷺ عن ابنها مات ولم يحج قال: (حجي عن ابنتك).

وروى أيضاً عنه قال: «قال رجل يا نبي الله إن أبي مات ولم يحج أفأحج عنه؟ قال: أرايت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم قال: فدين الله أحق».

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمته، ولو كان من أجنبي أو من غير تركته.

وقد دل عليه حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاهما قال له النبي ﷺ الآن بردت عليه جلده.

### سؤال القبر

اتفق أهل السنة والجماعة: على أن كل إنسان يسأل بعد موته: قبر أم لم يقبر . .

فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو غرق في البحر: ليسئل من أعماله وجوزى بالحير: خيرًا، وبالشرا: شرًا.

وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً . . قال ابن القيم: ذهب سلف الأمة وأئمتها إلى أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وإن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى: أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين وتعاد الأبدان مستفقت عليه بين المسلمين واليهود والنصارى وقال المروزي: قال أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد - عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل.

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله: في عذاب القبر؟

فقال: هذه أحاديث صحاح تؤمن بها ونقر بها . . كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقرنا به إذا لم نقر بما جاء به رسول الله ﷺ ودفعناه ورددناه: رددنا على الله أمره . . قال تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾<sup>(١)</sup>.

قلت له: وعذاب القبر حق؟ قال: حق . . يعذبون في القبور. قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: تؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير

وأن العبد يسأل في قبره . . . قال تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾<sup>(١)</sup> . . في القبر.

وقال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله: تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر؟ فقال: سبحانه الله . . نعم . . نقر بذلك ونقر له.

قلت: هذه اللفظة تقول: منكر ونكير هكذا؟ أو تقول: ملكين؟

قال: منكر ونكير.

قلت يقولون: ليس في حديث منكر ونكير.

قال: هو هكذا يعني أنهما منكر ونكير.

ثم يطرح العلامة ابن القيم في هذه القضية سؤالاً يقول فيه:

هل تعاد الروح إلى الميت في قبره وقت السؤال أم لا؟

ويجب قائلًا: فقد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسألة وأختانا من أقوال الناس حيث صرح بإعادة الروح إليه: فقد قال البراء بن عازب.

كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقمنا وقعدنا حوله كان على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال: «إن العبد إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا: نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة: اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من (في) السقاء - أي فمه - فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة حين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني على ملا من الملائكة - إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧.

(١) سورة الحشر الآية ٧.

يسمونه في الدنيا حتى يتنوها بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم ومنها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت.

فينادي مناد من السماء: أن صدق عبي فافرشوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة.

قال: فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره.  
قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك. . . هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عمك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة: نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة: اخرجي إلى سخط من الله وغضب . . .

قال: فيتفرق في جسده فيتزعزعا كما يتزعزع السنود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كائنان ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في

الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾<sup>(١)</sup>.

فيقول الله عز وجل «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى» فتطرح روحه طرْحاً ثم قرأ ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبي فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤك هذا يومك الذي كنت توعد.

فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول: عمك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة»

رواه الإمام أحمد وأبو داود.

اللهم أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

#### نصوص نبوية صحيحة

وهذه مجموعة من الأحاديث النبوية الصحيحة نستشهد بها على صحة ما ذكرناه:

روى مسلم عن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط (الحائط هو البستان) لبنى النجار على بقلته ونحن معه إذ جادت به فكادت تلقيه، فإذا قبر ستة أو خمسة أو أربعة . . . فقال: من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل: أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال:

(٢) سورة الحج الآية ٣١.

(١) سورة الأعراف الآية ٤٠.

مات في الأشراف. فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها... فلولا أن لا تدافنوا: لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر: الذي أسمع منه. ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا نعوذ بالله من عذاب النار. قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

وروى البخاري ومسلم عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم: أتاه ملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ. فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله.

قال: فيقولان: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة.. فيراهما جميعاً.

وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقولان: لا دريت ولا تليت.. ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة فيسمعها من يليه غير الثقلين. (ومعنى لا دريت.. ولا تليت): أي لا كنت دارياً ولا تالياً.. والمقصود بها الدعاء عليه).

وروى البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: فذلك قول الله ﷻ يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: نزلت في عذاب القبر: يقال له من ربك؟ فيقول: الله ربي ومحمد نبي فذلك قول الله ﷻ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»<sup>(١)</sup>.

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧.

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح أبي حاتم أن النبي ﷺ قال:

«إن الميت إذا وضع في قبره: إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجله فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل ثم يؤتى من يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان: ما قبلي مدخل. فيقال: له اجلس. فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد أخذت للغروب فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول؟ دعوني حتى أصلي فيقولان: إنك ستصلي أخبرنا عما نسألك عنه؟ أرايتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله فيقولان له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له: هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه وتجعل نسمته في النسيم الطيب وهي طير معلق في شجر الجنة.. قال: فذلك قول الله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»<sup>(١)</sup>.. وذكر في الكافر ضد ذلك إلى أن قال:

«ثم يضيئ عليه في قبره إلى أن تختلف أضلعه فتلك المعيشة الضنك التي قال الله تعالى: «فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أجمعاً»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال: «كان النبي ﷺ

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧. (٢) سورة طه الآية ١٢٤.





قال تعالى: ﴿وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾<sup>(٣)</sup>.  
والكتاب: هو القرآن.

والحكمة: هي السنة باتفاق السلف.

وما أخبر به الرسول عن الله: فهو في وجوب تصديقه والإيمان به.. كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله..

هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم. وقد قال النبي ﷺ «إني أوتيت الكتاب ومثله معه».

وأما الجواب المفصل: فهو أن نعيم البرزخ وعذابه المذكوران في القرآن في غير موضع.. فمنها قوله تعالى ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم.. اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا خطاب لهم عند الموت.

وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: اليوم تجزون ومنها قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النساء الآية ١١٣. (٢) سورة الجمعة الآية ٢.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٤. (٤) سورة الأنعام الآية ٢.

(٥) سورة غافر الآيات [٤٥، ٤٦].

فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً.. لا يحتمل الشك. ومنها قوله تعالى: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون. يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا.

وقد يقال وهو أظهر أن مات منهم.. عذب في البرزخ ومن بقي منهم.. عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ. ومنها قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبدالله بن عباس على عذاب القبر. وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن.

لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه: فهم منها عذاب القبر.. فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر. فأخبر أن يذيقهم بعض «الأدنى» ليرجعوا.. فدلّ على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ولهذا قال: «من العذاب الأدنى» ولم يقل «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى».

فلتأمل ذلك جيداً.. ونظيره قول النبي ﷺ: «يفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها» ولم يقل: فيأتيه حرها وسمومها فإن الذي وصل إليه: بعض ذلك وبقي له أكثره.. والذي ذاقه أعداء الله في

(٢) سورة السجدة الآية ٢١.

(١) سورة الطور الآيات [٤٥ : ٤٧]

الدنيا بعض العذاب وبقي لهم: ما هو أعظم.

ومنها قوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون، فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين، فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كان أصحاب اليمين، فسلام لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم، وتصلية جحيم، إن هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم﴾<sup>(١)</sup>

فذكر ههنا: أحكام الأرواح عن الموت وذكر في أول السورة: أحكامها يوم المعاد الأكبر. وتقديم ذلك على هذا تقديم للغاية للعناية. إذ هي أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام. ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف السلف: متى يقال لها ذلك؟

فقال طائفة: يقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ: مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه.

وقد فسر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء وغيره فيقال لها: (اخرجي راضية مرضية عنك) وقوله تعالى: ﴿فادخلي في عبادي﴾ مطابق لقوله ﷺ «اللهم الرفيق الأعلى». وأنت إذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلاً وتفسيراً لما دل عليه القرآن.

أسباب عذاب القبر

قال العلامة ابن القيم:

ذلك راجع إلى سببين:

مجمع ومفصل:

(٢) سورة الفجر الآيات (٢٧ : ٣٠).

(١) سورة الواقعة الآيات (٨٣ : ٩٦).

أما الجمل فلأنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتيابهم لمعاصيه فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وأمثلت أمره واجتبت نهيته ولا بدنا كانت فيه أبداً فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة: أثر غضب الله وسخطه على عبده فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك. كان له من عذاب البروخ بقدر غضب الله وسخطه عليه: فمستقل ومستكثر ومصداق ومكذب.

وأما القفص: فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رأهما يعذبان في قبورهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الاستبراء من البول.

فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة: بالكذب والزور والبهتان: أعظم عذاباً كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذاباً وفي حديث شعبة (أما أحدهما: فكان يأكل لحوم الناس فهذا مقتاب وذلك نمام).

وقد تقدم حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- في الذي ضرب سوطاً امتلاً القبر عليه به ناراً لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم فلم ينصره، وقد جاء في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال: (كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا...؟ والحديث: مذكور بطوله فيما مضى فليرجع إليه من شاء وما سبق يتبين أن عذاب القبر يكون عن محاسن القلب والعين والأذن والشم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله:

فالنمائم والكذاب والمغتتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة والداعى إلى البدعة والقاتل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف في كلامه وأكل الربا وأخذ معة ومعطيه وكاتبه وشاهده وأكل أموال اليتامى وأكل السمحة من الرشوة والبرطيل (الرشوة) وموهمها وأكل

مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد وشارب المسكر وأكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والمآكر والمحلل والمحلل له والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ومؤذى المسلمين ومتبع عوراتهم والحاكم بغير ما أنزل الله والمفتي بغير ما شرعه الله والمعين على الإثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها والمقدم رايه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ والنائحة والمستمع إليها ونواحو جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرّج والمطففون في استيفاء مالهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمارون واللمارون والطاعنون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم والذي إذا خوفته بالله وذكرته به لم يرهو ولم ينزجر فإذا خوفته بمخلوق مثله: خاف وارهو وكف عما هو فيه والذي يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدى ولا يرفع به رأساً فإذا بلغه عمن يحسن به الظن عمن يصيب ويخطئ: عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه والذي يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استنقل به فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق: طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب وود أن المغنى لا يسكت والذي يحلف بالله ويكذب فإذا حلف بالبندق أو برئ من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويظلمه من المخلوقين: لم يكذب ولو هدد وعوقب والذي يفتخر بالعصية ويتكبر بها بين إخوانه وإضرابه - وهو المجاهر والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك - والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق تقاء شره وفحشه والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها نقرًا ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً ولا يؤدي ركاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها

ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة ولا يبالى بما حصل من المال من حلال أو حرام ولا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويرائى العالين ويمنع الماعون ويتشغل بعيوب الناس عن عيبه وينفونهم عن ذنبه.

كل هؤلاء وأمثالهم: يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقتلتها وصغيرها وكبيرها.  
ولما كان أكثر الناس كذلك: كان أكثر أصحاب القبور معذنين والفائز منهم قليل.

فظواهر القبور: تراب وبواطنها حشرات وعذاب ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبيّنات وفي باطنها الدواهي والبليات.

تغلى بالحشرات كما تغلى القدور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيتها. تالله لقد عظمت فما تركت لواعظ مقالا ونادت: يا عمار الدنيا: لقد عمرتم داراً موشكة بكم روالاً.

وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً.

عمرتم بيوتاً لغيركم: منافعها ومسكناتها.

وخربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها.

هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال وبذر الزرع وهذه محل للعبر:

رياض من رياض الجنة أو حفر من حفر النار!

### فضل القرآن ومدارسته

اعلم - وفقني الله وإياك - أن حرص العبد في الدنيا على قراءة القرآن ومدارسته وحفظه وتلاوته: خيراً ما يتور له قبره ويفسح له فيه.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله في هذا المعنى:

وخير جليس لا يمل حديثه

ترداده يزداد فيه تحملاً

وحيث الفتى يرتاع في ظلماته  
 من القبر يلقاه منا متهللاً  
 هنالك يهنيه مقبلاً وروضة  
 ومن أجله في ذروة العز يجتلى  
 يناشد في إرضائه لحبيه  
 واجدر به مؤلاً إليه موصل  
 فيا أيها القارى به متمسكا  
 مجلا له في كل حال مبجلا  
 هنيا مريئا والذاك عليهما  
 ملابس أنوار من التاج والحلى  
 يرحم الشاطبي وجزاء الله عن القرآن خيراً  
**فضل القرآن**  
**وحافظ القرآن**

وها نحن أولاً: نذكر نصراً تبين لنا فضل القرآن على أصحابه  
 العاملين به المتسكين بهديه السالكين على منهجه السائرين على دربه .  
 قال الله تبارك وتعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن  
 العظيم﴾ (١).

وقال جل شأنه: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ (٢) .  
 وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين  
 يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (٣) .  
 وصح عن النبي ﷺ أنه حدث عن جبريل عليه السلام عن الله  
 تبارك وتعالى أنه قال: (من شغله قراءة كتابي عن مسألتي: أعطيته أفضل

(١) سورة الحجر الآية ٨٧ .  
 (٢) سورة الفرقان الآية ٢١ .  
 (٣) سورة فصلت الآيتان [٤١ ، ٤٢] .

ما أعطى الشاكرين) وفي رواية أخرى (السائلين) .  
 وعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله أهلين من الناس فقيل:  
 من هم يا رسول الله؟  
 قال: أهل القرآن. هم أهل الله وخاصته»  
 وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- يرفعه: (أشراف أمتي حملة  
 القرآن وأصحاب الليل) .  
 وعنه أيضاً يرفعه:  
 (من أعطى القرآن فظن أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى: فقد عظم  
 ما حقر الله وحقر ما عظم الله) وقال: (من أوتي القرآن: فكأنما أدرجت  
 النبوة بين جنبيه إلا أنه لم يوح إليه) .  
 وسئل النبي ﷺ: من أفضل الناس؟ فقال: «الحال المرتحل قيل:  
 ومن الحال المرتحل؟ قال: صاحب القرآن.. كلما حل ارتحل: أي كلما  
 أتم ختمة: استأنف ختمة أخرى» .  
 وعن علي -رضي الله عنه- قال: (ذكر لرسول الله ﷺ الفتنه ..  
 قلنا يا رسول الله: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله: فيه نبأ ما قبلكم  
 وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من  
 جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله  
 المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس له  
 الألسن ولا يزيغ به الأهواء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشيع منه  
 العلماء، ولا تنقض عجائبه، هو الذي لم يلبث الجن إذ سمعته أن  
 قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجيباً﴾ (١) . من قال به: صدق ومن حكم به  
 عدل ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم .  
 وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا  
 القرآن مادة الله في أرضه فتعلموا مآدبه ما استطعتم وإن هذا القرآن هو

(١) سورة الجن الآية ١ .







أما الجواب المفصل فذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجي من عذاب القبر: فمنها: ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان -رضي الله عنه- قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان»

وفي جامع الترمذي من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفي سنن النسائي عن رشدي بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة.

وعن المقدم بن معديكرب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الخور العين ويشفع في سبعين من أقاربه» رواه ابن ماجه والترمذي وهذا لفظه وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها فاتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها فقال النبي ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية: تنجي من عذاب القبر» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وفي مسند عبد بن حميد عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال لرجل: ألا تحفك بحديث تفرح

به؟ قال الرجل: بلى؟ قال: اقرأ: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير»<sup>(١)</sup>. احفظها وعلمها أهلك وولدك وصبيانك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخصم يوم القيامة عنه ربها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن ينجي من عذاب النار إذا كانت في جوفه وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ: «توددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي».

قال أبو عمر بن عبد البر: وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له): «تبارك الذي بيده الملك».

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يرفعه: «من مات مبطوناً: مات شهيداً ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه بروق من الجنة».

وفي سنن النسائي عن جامع بن شداد قال: سمعت عبدالله بن يشكر يقول: «كنت جالساً مع سليمان بن صرة وخالد بن عرفة فذكروا أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتبهان أن يكونا شهد جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: من قتله بطنه لم يعذب في قبره».

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة حدثني أحمد بن جامع بن شداد قال أبي فذكره وزاد: فقال الآخر: بلى.

وفي الترمذي من حديث ربيعة بن سيف عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وليس إسناده بم متصل.

وقد جاء فيما ينجي من عذاب القبر حديث فيه الشفاء رواه أبو موسى المديني وبين علته في كتابه (الترغيب والترهيب وجعله شرحاً له) رواه من حديث الفرّج بن فضالة حدثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمّتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالدين فرد ملك الموت عنه. ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه. ورأيت رجلاً من أمّتي احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه ورواه. ورأيت رجلاً من أمّتي ورأيت النبيين جلوساً حلقاً كلما دنا إلى حلقة طرد ومنع فجاءه غسلة من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبتي. ورأيت رجلاً من أمّتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيها فجاءه حجة وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور. ورأيت رجلاً من أمّتي يتقى وهج النار وشرورها فجاءته صدقته فصارت سترًا بينه وبين النار وظلاً على رأسه. ورأيت رجلاً من أمّتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمته فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمته فكلّموه فكلّمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم. ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمّتي جائئياً على ركبتيين وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلاً من أمّتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله - عز وجل - فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمّتي خف ميزانه فجاءه إفراطه فشقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاءه من الله عز وجل

فاستنقذه من ذلك ومعنى ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوى في النار فجاءته دمعة التي بكى من خشية الله - عز وجل - فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن روحه ومضى. ورأيت رجلاً من أمّتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويمتلق أحياناً فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلاً من أمّتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.

قال الحافظ أبو موسى: هذا حديث حسن جداً فيأدر يا أخي بالأعمال الصالحة كما أمرك بذلك مولانا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾<sup>(١)</sup> وفي قوله عز وجل ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله جل شأنه ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تبارك وتعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾<sup>(٤)</sup>. قال ﷺ: «يأدروا بالأعمال الصالحة سبعا هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو هرمًا مفندًا، أو مرضاً مفسدًا، أو موتاً مجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر». فكن لله ذاكرًا وإياك ونسيان الموت فسيانك ضلال مبين. واعلم بأن خير الأعمال: ذكر الله.

(١) سورة البقرة الآية ١٤٨. (٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣. (٣) سورة الحديد الآية ٢١. (٤) سورة المطففين الآية ٢٦.





قال أبو عمرو: المراد بنسمة المؤمن: روحه. وقد شاء فضل الله تعالى أن يخص الشهداء بمنازل كرمة ودرجات رفيعة، جزاء ما بذلوا وقاتلوا وقتلوا.

قال عليه السلام: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار: الباقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه».

فلما كان هذا يختص بالشهيد قال: «إن للشهيد» ولم يقل: «إن للمؤمن». وكذلك قوله في حديث قيس الجزامي: «يعطى الشهيد ست خصال». وكذلك سائر الأحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة.

وعنه عليه السلام أنه قال: «أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة».

وعن معمر عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور بيض تاكل من ثمار الجنة.

وعن أبي عاصم الشيباني عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو: «أرواح الشهداء في طير كالزراير يتعارفون ويررقون من ثمرة الجنة».

قال أبو عمر: هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء، دون غيرهم. وفي بعضها «في صور طير». وفي بعضها «في أجواف طير» وفي بعضها «كطير خضر».

قال: والذي ثبت عندي - والله أعلم - أن يكون القول قول من قال «كطير» أو «صور الطير».

ثم: مازلنا بصدد الحديث عن مستقر الأرواح.

قال أبو عبد الله بن منده: وروى موسى بن عبيدة عن عبد الله بن يزيد عن أم كبشة بنت المعرور قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ، فسألناه عن هذه الأرواح؟ فوصفها صفة أبكى أهل البيت. فقال: «إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر، ترعى في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت المشى يقولون: ربنا الحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا».

وإن أرواح الكفار في حواصل الطير سود، تأكل من النار وتشرب من النار، وتأوى إلى حجر في النار. يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا.

وقال الطبراني: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن صخرة بن حبيب قال: سئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين، فقال: «في طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار؟ قال محبوسة في سجين».

رواه أبو الشيخ عن هشام بن يونس عن عبد الله بن صالح (وزواه) أبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن صخرة بن حبيب.

وعن نعيم الرازي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا عرج ملك الموت بروح المؤمن إلى السماء: استقبله جبرائيل في سبعين ألفاً من الملائكة كل منهم يأتيه ببشارة من السماء، سوى بشارة صاحبه فإذا انتهى به إلى العرش: خر ساجداً فيقول الله - عز وجل - ملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل مدود وماء مسكوب. رواه بكر بن خنيس عن خدار بن عمرو عن زيد وأبي عبد الله.

### كلمة عن الروح

اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك - أن الروح لا يمنعها شيء من الإشراف والاتصال بالقبر وفنائته... وذلك القدر من الإشراف كاف لعرض مقعده عليه... فإن للروح شأنًا آخر: تكون في الرفيق الأعلى



فى أعلى عليين ولها اتصال بالبدن سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي فى الملاء الأعلى.

ومن الخطأ الشنيع أن يعتقد بعض الناس أن الروح من جنس ما يعمد من الأجسام التى إذا شغلت مكاناً لا يمكن أن تكون فى غيره. وهذا خطأ محض... بل الروح تكون فوق فى أعلى عليين وترد إلى القبر فتد السلام. وتعلم بالمسلم وهي فى مكانها هناك وروح رسول الله ﷺ فى الرفيق الأعلى دائماً ويردها الله سبحانه وتعالى إلى القبر فتد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه.

وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلى فى قبر، ورآه فى السماء الخامسة والسادسة والسابعة: فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائها بمنزلة شعاع الشمس وجرمها فى السماء.

وقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدى العرش، ثم ترد إلى جسده فى أيسر زمان.

وكذلك روح الميت: تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السماوات السبع، وتقف بين يدى الله فتسجد له، ويقضى فيها قضاء، ويرىها الملك ما أعد الله لها فى الجنة، ثم نهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه.

وقد ذكر أبو عبدالله بن منده من حديث عيسى بن عبدالرحمن:

حدثنا ابن شهاب، حدثنا عامر بن سعد عن إسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله عن أبيه قال: «أردت مالى بالغابة، فأدركنى الليل، فأويت إلى قبر عبدالله بن عمرو بن حرام، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ذلك عبدالله... ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا يزال كذلك، حتى إذا طلع الفجر: ردت أرواحهم إلى مكانهم الذى كانت به».

ففى هذا الحديث: بيان سرعة انتقال أرواحهم من العرش إلى الثرى، ثم انتقالها من الثرى إلى مكانها.

ولهذا قال مالك وغيره من الأئمة: إن الروح مرسله تذهب حيث شئت وما يراه الناس من أرواح الموتى ومجيئهم إليهم من المكان البعيد: أمر يعلمه عامة الناس. ولا يشكون فيه.

### ابن القيم والعلاقة بين الحى والميت

عقد العلامة ابن القيم فصلاً يدور حول سؤال، مفاده: هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم... أم لا؟ ولما كان هذا السؤال يلقى ظلالاً على نفس السائل: لابد من كشف الغطاء عنها... فإن الإجابة جاءت موافقة للقاعدة التى قعدناها من قبل، والتى تفيد أن المصدر الحقيقى لما يدور بعد الموت: إنما هو السماع من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ولذا بدأ «ابن القيم» الإجابة قائلاً:

قال ابن عبدالبر ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام».

وفى الصحيحين عنه ﷺ - من وجوه متعددة - «أنه أمر بقتلى بلر فآلقوا فى قلب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإنى وجدت ما وعدنى ربي حقاً فقال له عمر: يا رسول الله: ما تخاطب من أقوام قد جيفوا... فقال: والذى بعثنى بالحق: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جواباً».

وثبت عنه ﷺ أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له، إذا انصرفوا عنه. وقد شرح النبى ﷺ لأمته: إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل. ولولا ذلك: لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب لمعدوم والجماد.

والسلف الصالح مجموعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له، ويستبشر به.

وقال أبو بكر عن عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبى الدنيا فى كتاب

ה'תש"ח: חת יחח

[illegible][illegible]

۱- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۲- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۳- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۴- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۵- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۶- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۷- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۸- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۹- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است  
 ۱۰- در این کتاب که در دسترس است و در دسترس است

[illegible][illegible][illegible][illegible]



## استئناس الميت بالمشييعين لجنازته

ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشييعين لجنازته بعد دفنه...  
روى مسلم في صحيحه من حديث عبدالرحمن بن شماس المهدي، قال: «حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت، فبكي طويلاً وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: ما يبكيك يا أبتاه؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا، فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإني كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إلى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار. فلما جعل الله الإسلام في قلبي: لقيت رسول الله ﷺ، فقلت: أبسط يديك فلا يبعك، فبسط يمينه قال: فقبضت يدي، قال: فقال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشرط قال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يغفر لي. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله، وما كان أحداً أحب إلى من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو مثلت أن أصفه ما أطق، لأنني لم أكن أملاً عيني منه، لو مت على تلك الحال: لرجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا نصاحبي نائحة ولا نار، فإذا دفتمونى: فسنوا على التراب سناً ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنمر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم، وانظر ماذا أراجع به رسل ربى.

فدل ذلك على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم. وقد ذكر عن جماعة من السلف الصالح أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن.

قال عبدالحق: يروى أن عبدالله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة. وعن رأى ذلك: المعلى بن عبدالرحمن وكان الإمام أحمد منكر ذلك أولاً، حيث لم يبلغه فيه أثر، ثم رجع عن ذلك.

## الماديون والموت

إن الصلة بين الحى والميت أكبر وأستر وأقوى من صلة لأحياء بالأحياء. وخاطئ كل الخطأ: من ظن أن الموت حكم بالإعدام وهذا ما يردده الماديون الغافلون المضلون، إن الموت مرحلة انتقال من عالم الفناء إلى عالم الخلود والبقاء.

انتقال من جوار الخلق إلى رحاب الحق. انكشاف للحجب الكثيفة. «لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» (١).

والذى أوقع الماديين فى هذه الهوة السحيقة من الضلال حتى ذهبوا إلى فهم الموت على أنه انطفاء الحرارة وتحلل الرطوبات وقالوا: ما هى إلا حياتنا الدنيا تموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما هى إلا الأرحام تدفع وأرض تبلع.

الذى أوقعهم فى هذا الضلال: أنهم قاسوا الغائب على الشاهد وطلبوا المحسوس فى غير المحسوس سقط خلفه بعم عن المحسوس كغشاء عين الخفافيش عن رؤية الأجسام البينة لنا فى ضوء الشمس: قل لهؤلاء الماديين الحسيين: وهل نحن أبصرنا قوانين الكون، وهل وقعت أجزاءه تحت حسنا، هل رأت أبصارنا الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء؟

هل أدركنا حقيقة المغناطيسية أو الجاذبية أو الضوء أو الأثير؟ هل وقعت أيدينا على هذه الحقائق الماثلة فى هذا الكون الرحيب؟ فإذا كنا لم ندرك حقيقتها.. فكيف نصل عقولنا إلى أن نكيف

(١) سورة ق الآية ٢٢.

عالم البرزخ، وهو محيط أعنف من أن يعجز عبابه سبحانه ماهر.  
إن إدراك عالم البرزخ: ليس مجاله الحسن كما أن العقل يقف  
واجماً أمام بحاره.

إنما طريقه: الرحي المعصوم.

فإن الموت أمر متعلق بالروح، قال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ  
قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .. وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

### تعلقات الروح بالبدن

اعلم. وفقنى الله وإياك أن للروح خمسة تعلقات بالبدن:

#### التعلق الأول:

تعلقها به فى عالم الأرحام: فبعد أن مضت مدة النطفة فالعلقة،  
فالمضغة: نفخ الله فيها الأرواح... قال تبارك اسمه: ﴿وذلك عالم الغيب  
والشهادة العزيز الرحيم. الذى أحسن كل شئ خلقه. وبدأ خلق الإنسان  
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من  
روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾<sup>(٢)</sup>.

#### التعلق الثانى:

تعلقها بالبدن فى هذه الدنيا حيث تقوم بيت الحياة فيصرف البدن  
ويباشر أعباء الحياة قال تبارك اسمه: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر... فتبارك الله  
أحسن الخالقين﴾<sup>(٣)</sup>.

#### التعلق الثالث:

تعلقها بالبدن عند النوم فإنها وقتذاك يكون لها مباشرة من وجه  
خاص.. قال جل شأنه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت

فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل  
مسمى، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾<sup>(١)</sup>.  
التعلق الرابع:

تعلقها بالبدن بعد الموت فى عالم البرزخ.. قال تعالى: ﴿حتى إذا  
جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت..  
كلا.. إنها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾<sup>(٢)</sup>.  
التعلق الخامس:

تعلقها به يوم القيامة بعد البعث.. قال جل جلاله: ﴿ثم نفخ فيه  
أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقَت الأرض بنور ربها﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقال عز من قائل: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة  
تبعثون﴾<sup>(٤)</sup>.

#### ملاحظة جذيرة بالاعتبار

من تأمل التعلقات السابقة: يلاحظ أن كل مرحلة من هذه المراحل  
أوسع أفقاً وأرحب متزلة عما قبلها.  
ولذا قيل: إن خروج المؤمن من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة:  
كخروج الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا:  
فتعلق الروح بالجنين فى الرحم مكان ضيق، وتعلقها به فى الدنيا  
حال البقطة مكان أوسع، وتعلقها به فى المنام أرحب وأوسع حيث تتقل  
الروح فى أرجاء الكون.  
والموت أوسع وأوسع:

فقد جاء فى الحديث: «المتوتن كما تنامون».  
ولأن المرت تخلص من ظلمة المادة مما يعطى الروح رحابة أفق.  
وتعلقها به بعد البعث: أشد رحابة وأوسع أفقاً.

(١) سورة الزمر الآية ٤٢. (٢) سورة المؤمنون الآية ١٠٠.  
(٣) سورة الزمر الأيتان [٦٨، ٦٩]. (٤) سورة المؤمنون الأيتان [١٥، ١٦].

(١) سورة لاسراء الآية ٨٥. (٢) سورة السجدة الآيات [٩، ١٠].  
(٣) سورة المؤمنون الآية ١٤.

قال تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾<sup>(١)</sup>.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يقول فيهم: ﴿فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.. ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا. ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾<sup>(٣)</sup>.  
وصلّى الله على سيدنا محمد البشير النذير وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين واحشرنا في زمرة من يا رب العالمين. آمين.

## فصل

### المراقبة والمحاسبة

اعلموا أيها العقلاء أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وعن أعمالكم محاسبون وعلى رب العزة ستعرضون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فالיום عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.  
غدا توفي النفوس ما كسبت

ويحصد الزارعون ما زرعو  
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم

وإن أساءوا فبئس ما صنعوا  
قيل لثقي الدين الحسن البصري -رضي الله عنه-: أي الأيام عندك عيد فقال: كل يوم لا أعصى الله فيه فهو عيد.  
إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى  
تقلب هريئاً ولو كان كاسياً

(٢) سورة في الآية ٢٢. (٢) سورة الواقعة الآيات [٨٨ : ٩١].

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

وخير لباس المرء طاعة ربه

ولا خير ليمن كان الله عاصياً

كان فاروق هذه الامة -رضي الله عنه- إذا أخذ مضجعه لينام كان يردد هذا النشيد المصحوب بالتسبيح: كان يسأل نفسه هذا السؤال: ماذا تقول لربك غدا يا عمر؟ لقد كنت ضالاً فهداك الله وكنت ضيعاً فرفعك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله، فماذا تقول لربك غدا؟ فهذا الفاروق يحاسب نفسه وهو الذي كان يقول: لو عثرت بغلة في نحر اق لسألني الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر؟ وكان يقول رحم الله امرأ أهدى إلى هيوبي وكان يقول لأهله: اتقوا الله يا آل عمر فإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحمه وكان يخاف من الله خوف من يعتقد أن النار لم تخلق إلا له وحده وكأنه يقول: لو نادى مناد يوم القيامة كل الناس يدخلون الجنة إلا واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الواحد.

وكان يقول: والله ما قبلت الخلافة إلا كما يقبلها المضطر أكل الميتة وإن مثلي وأمة محمد كمثل الوصي على مال اليتيم إن وجد استغنى وإن لم يجد أكل بالمعروف يرحمك الله يا أمير المؤمنين.

يا رافع راية الشورى وحارسها

جزاك ربك خيراً عن محبيها

رأى الجماعة لا تشقى البلاد به

رغم الخلاف ورأى الفرد يشقى بها

إن جاع في شدة قوم شاركهم

في الجوع أو تنجلي عنها فواسيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته

في الزهد منزلة سبجان موليا

فمن يبارى أبا حفص وسيرته

أو من يحاول للفاروق تشيها

يوم انتهت زوجته الحلوى فقال لها

من أين لي ثمن الحلوى فأشربها

عن قوتنا قال السلمون به  
أولى فقروى لبيت المال رديها  
أخلاقه كانت وما عهدت

بعد النبوة أخلاق تحاكبها

مر المؤمنين فانظروا كيف يحاسب نفسه واعجبوا كيف  
نفسكم قبل أن تحاسبوا؟

أصبحت لا تسمع وما للأذان أصبحت لا تسمع وما  
لا تخشع وما للأبدان أصبحت لا تسجد ولا تركع.

يؤمن بالقدر ثم هو يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالرزق  
عجبت لمن يؤمن بالموت ثم هو يفرح، ثم يؤمن بالنار  
وعجبت لمن يؤمن بالحساب فذاك ثم هو لا يعمل،  
الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن لها.

الإسلام أبو حامد الغزالي - رضى الله عنه - فى كتاب

المراقبة والمحاسبة ما نصه:

حمن الرحيم

نائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة  
لمع على ضمائر القلوب إذا هي هجست، الحسيب على  
الاختلاجت الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى  
من تحركت أو سكنت، للمحاسب على التقير والقطمير  
ن الاعمال وإن خفيت، المتفضل بقبول طاعات العباد  
رك بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت، وإنما يحاسبهم  
ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لولا  
والمحاسبة فى الدنيا لشقت فى صعيد القيامة وهلك

ول بضاعتها المزجاة للحابت

(٥) سورة آل  
(٧) سورة البقر

وخسرت، فبحان من عمت نعمه كافة العباد وشملت واستغرفته  
رحمته الخلائق فى الدنيا والآخرة، وغمرت فبنفحات فضله اتعت  
القلوب للإيمان وانشرحت ويمن توفيقه تغيرت الجوارح بالعبارات  
وتأديت وبحسن هدايته انحلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت  
وبتأييده ونصرته انقطعت مكابد الشيطان واندفعت ويلطف عنايته ترجع  
كفة الحسنات إذا ثقلت، وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمته  
العتاء والجزاء والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشفاء والصلاة والسلام على  
محمد منيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء.

أما بعد فقد قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا  
تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا  
حاسبين﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما  
فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا  
أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ريبك أحداً﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبشهم بما عملوا أحصاء الله  
ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل  
مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما  
عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾ (٧).

فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد

- (١) سورة الأنبياء الآية ٤٧. (٢) سورة الكهف الآية ٤٩.  
(٣) سورة المجادلة الآية ٦. (٤) سورة الزلزلة الآيات ٦: ٨.  
(٥) سورة آل عمران الآية ١٦١. (٦) سورة آل عمران الآية ٢٠.  
(٧) سورة البقرة الآية ٢٣٥.

وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمشاقيل الذر من الأخطار واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس وأحركات ومحاسبتها في الأخطار واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عن السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسرته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سبائته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرايطة فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (١).

فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في المراقبة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضليتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة، ولكن كل حساب فبعده مشاركة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاقبة والمعاقبة، فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق.

### (المقام الأول من المراقبة والمشاركة)

اعلم أن مطلب المتعاملين في التجارات المشتركة في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العاقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وريحه تزكية النفس، لأن بذلك فلاحها قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٢).

وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكّيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصماً منارحاً يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاقبه

(١) سورة النساء الآية ٢٠٠. (٢) سورة الليل الآية ٩ : ١٠.

أو يعاقبه رابعاً  
عليها الوظائف  
عليها الأمر به  
أهمها لم ير  
الجو وانفرد باله  
شرط عليها، فإن  
مع الأنبياء واله  
تدقيقه في أربا  
كيفما كانت فم  
بل شر لا يدوم  
بقي الفرح بانق  
الأسف على أن  
أشد الغم  
فحتم ع  
محاسبة نفس  
وحظواتها، ف  
يمكن أن يشتري  
هذه الأنفاس ف  
هائل لا تسمح  
ينبغي أن يفر

البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول: للنفس ما لي  
بضاعة إلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة  
وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنا في أجلى، وأنعم  
عليّ به ولو ترفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى  
أعمل فيه صالحاً فأحسب أنك قد توفيت ثم قد رددت فأياك ثم إياك أن





جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد والله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرهما مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الأبق المتمرد فإن النفس بالطبع متمردة على الطاعات مستعصية على العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها. ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾<sup>(١)</sup>. فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام الرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير.

قال تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾<sup>(٢)</sup>. وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾<sup>(٥)</sup>. ذكر ذلك تحذيراً وتنبهاً للاحتراز منه في المستقبل...

وروى عبادة بن الصامت أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه «إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فامضه وإن كان غيياً فانته عنه».

وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن يكون العقل غالباً للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان: إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة.

- (١) سورة المدثرات الآية ٥٥. (٢) سورة البقرة الآية ٢٣٥.  
(٣) سورة النساء الآية ٩٤. (٤) سورة الحجرات الآية ٦.  
(٥) سورة ق الآية ١٦.

وروى شدداد بن أوس عنه عليه السلام أنه قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

ودان نفسه: لى حاسبها ويوم الدين: يوم الحساب. وقوله أننا لمدينون: أى لمحاسبون. وقال عمر -رضي الله عنه-: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزئوها قبل أن تورثوا وتهيئوا للعرض الأكبر.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة. وقال لكعب كيف تمجدها في كتاب الله؟ قال: ويل لديان الأرض من ديان السماء، فعلاه بالدرة وقال إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال: من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولاً وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها.

#### (المراقبة الثانية المراقبة)

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالفة فلإنها إن تركت طغت وفست ولذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها.

أما الفضيلة: فقد سأل جبريل -عليه السلام- الرسول ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه» وقال عليه السلام «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وقد قال تعالى ﴿أنؤمن هو قاتم على كل نفس بما كسبت﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى: ﴿إن الله عليكم رقيباً﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾<sup>(٤)</sup>.

- (١) سورة الرعد الآية ٣٢. (٢) سورة العلق الآية ١٤.  
(٣) سورة النساء الآية ١. (٤) سورة المارج آيتان [٣٢ ، ٣٣].

وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل. وقال عبد الواحد بن زيد: إذا كان سيدى رقيباً على فلا أبالي بغيره. وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم. وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات. وقال الجريري: أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله - عز وجل - ويكون العلم على ظاهرك قائماً. وقال أبو عثمان: قال لي أبو حفص: إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يغررك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك. وحكى أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدها بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائراً وسكباً وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم، فرجع كل واحد بطائره مذبوحة ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك: فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع على في كل مكان. فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا: حق لك أن تكرم.

وحكى أن رليخا لما خلت بيوسف - عليه السلام - قامت فقطت وجه صنم كان لها فقال يوسف: مالك أتستحين من مراقبة جماد ولا تستحين من مراقبة الملك الجبار. وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت: له ألا تستحي فقال: عن أستحي؟ وما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها؟

وقال رجل للجنيد: بم أستعين على غرض البصر، فقال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه. وقال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه

- عز وجل - وعن مالك بن دينار قال: جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له: ومن يسكنها؟ قال يقول الله - عز وجل - إنما يسكن عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انشئت أصلاهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم أن أعذب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب. وسئل المحاسب عن المراقبة فقال: أولها علم القلب بقرب الرب تعالى. وقال المرتضى: المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولقطة. ويروي أن الله تعالى قال للملائكة: أنتم موكلون بالظاهر، وأنا الرقيب على الباطن.

وقال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه. وقال سهل: لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان.

وسئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (١). فقال معناه ذلك لمن راقب ربه - عز وجل - وحاسب نفسه وتزود لمعاده. وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة؟

فقال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحمبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

(١) سورة البينة الآية ٨.

الم تر أن اليوم أسرع ذاهب

وأن غداً للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظمي، ففكك: لئن كنت إذا عصيت الله خالياً ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

وقال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعلبك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعلبك بالخطر ممن يملك العقوبة، وقال فرقد السنجي إن المتأفق ينظر فإذا لم ير أحداً دخل مدخل السوء وإذا يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى، وقال عبدالله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى مكة فغرسنا في بعض الطريق فاتحدر عليه راع من الجبل فقال: يا راعي بعني شاة من هذه الغنم، فقال: أنا مملوك، فقال: قل لسيدك: أكلها الذئب، قال: فأين الله؟ قال: فبكى عمر ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها)

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمت احتذر من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب فلاناً ويراعى جانبه ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يشعرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أنه ظاهر البشارة للخلق مكشوف، بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً أعنى أنها خللت على الشك ثم استرلت بعد ذلك على القلب وقهرته، فرب علم لا شك فيه ولا يغلب على القلب كالعلم

بالموت، فإذا استرلت على القلب استعجزت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين، فمراقبتهم على درجتين: الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهو أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلك الجلال ومنكسراً تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلاً وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب، أما الجوارح فإنها تتعطل على الالتفات إلى المباحات فضلاً عن المحظورات وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة لها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سعت السداد بل يسد الرعية من مملك كلية الراعي، والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقاً بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه همّاً واحداً فكفاه الله سائر الهموم، ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلاً فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال له عاتبه: إذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظر هذا في القلوب المعظمة لمسلوك الأرض حتى أن خدام الملك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتمل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فرعاً بجوار الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبدالواحد بن زيد: هل تعرف في زمانك هذا رجلاً قد اشتغل بحاله من الخلق؟ فقال: ما أعرف إلا رجلاً سيدخل عليكم الساعة فما كان إلا سريعاً حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبدالواحد بن زيد: من أين جئت يا عتبة فقال: موضع كذا وكان طريقه على السوق، فقال: من لقيت في الطريق فقال: ما رأيت أحداً.

ويروى عن يحيى بن زكريا -عليهما السلام- أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: ما ظننتها إلا جداراً، وحكى عن بعضهم أنه قال: مررت بجماعة يرامون وواحد جالس بعيداً عنهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال: ذكر الله تعالى أشهى، فقلت: أنت وحدك، فقال: معي ربي وملكانى، فقلت: من سبعة من هؤلاء، فقال: من عز الله له، فقلت: أين الطريق؟ فأشار نحو السماء، وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا منه ولا يسمع إلا فيه فهو لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه.

ودخل الشبلى على ابن الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكناً حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له: من أين أخذت هذه المراقبة والسكون؟ فقال: سنور كانت لنا فكانت إذا أردت الصيد رابطت رأسى الحجر لا تتحرك لها شعرة، وقال أبو عبدالله بن خفيف: خرجت من مصر أريد الرملة للقاء ابن عني الروذبارى، فقال لى عيسى بن يونس المصرى المعروف بالزاهد: إنه فى صور شاباً وكهلاً قد اجتمعاً على حال المراقبة فلو نظرت إليها نظرة لعنتك تستفيد منه فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خربة وليس على كفى شيء فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة، فسلمت عليهما فما أجابانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب، فقلت: نشدتكما بالله ألا ردتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلى وقال: يا بن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير يابن خفيف ما أقل شغلك حتى نفرغ إلى لقائك قال فآخذ بكلبتي ثم طأطأ رأسه فى المكان، فبقيت عندها حتى صليت الظهر والعصر فذهب جوعى وهطلى وعنائى فلما كان وقت العصر قلت عطشى فرفع رأسه إلى وقال: يابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة بقيت عندهما ثلاثة

أيام لا أكل ولا اشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلاً شيئاً ولا شرباً فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى الخلق أن يعظاني لعل أن أنتفع بمعظمتها فرفع الشاب رأسه، وقال: يابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيئته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغبر ذلك.

الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قوم على يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو من المراقبة، نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجبون إلا بعد التثبت من ويمتنعون عن كل ما يقتضحون به فى القيامة فإنهم يرون الله فى الدنيا مطلعاً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالاً فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن جلال وتعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرك فإنها تهيج الحياء فيك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلاً به لا حياء منه، فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى، ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته ومكناته وخطراته ولحظاته، وبالجملنة جميع اختياراته، وله فيها نظران: نظر قبل العمل، ونظر فى العمل. أما قبل العمل فليستظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أمر الله خاصة أو هو من هوى النفس ومتابعة الشيطان فيترقب فيه ويثبت حتى يتكشف له ذلك بنور الحق فإن كان الله تعالى أمضاه وإن كان لغبر الله استحياء من الله وأنكف عنه ثم لا م نفسه على رغبته فيه





وقال على -كرم الله وجهه-: الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وصاقبة الكذب الندم وفي الصديق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب صديق من صدق غيبه ولا يعرفك من حبيب سوء ظن نعم الخلق لتكرم والحياة سبب إلى كل جميل وأوثق العمر التقوى، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تاته أنك.

• وإن كنت جارعاً على ما أصيب مما في يدك فلا تجزع على ما لم إليك واستدل على ما لم يكن بما كان قائماً بالأمور أشباه والمرء يسره ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك . تكثرن به فرحاً وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفاً وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما حلقت وشغلك لأخترتك وهمك فيما بعد الموت وغرضاً من نقل هذه الكلمات قوله، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة.

فإذن النظر الأول للمراقب نظره في الهم والحركة أمى لله أم للهوى وقد قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يراى بشيء من علمه وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخرة والآخرة أثر الآخرة على الدنيا».

واكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحاً ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

النظر الثالث: للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه، ويحسن النية في إتمامه، ويسكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكن وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع

ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب . فإن كان قاعداً مثلاً فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ: «خير المجالس ما استقبل به القبلة».

ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه، قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: جلست مرة متربعا فسمعت هاتفاً يقول: هكذا تجالس الملوك، فلم أجلس بعد ذلك متربعا وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لأدائها وفاء بالمراقبة.

فإذن لا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياة والاشتغال بالتفكير وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب.

ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها . وكل ذلك من المراقبة بل لا يتفك العبد في كل حال من فرض الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته، ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة.

فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغاً من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتزم أفضل الأعمال ليشغل بها فإن فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مبغون والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى: «ولا تنس نصيبك من الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث: ساعة مضت لا تعب فيها على العبد.

(١) سورة القصص الآية ٧٧.



كيفما انتقصت في مشقة أو رفاهية، وساعة مستقبلية لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضى الله فيها، وساعة راحة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن آتته الساعة الثانية استوفى في حقه منها كما استوفى من الأول ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون في وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر -رضي الله عنه- من قوله عليه السلام.

(لا يكون المؤمن ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرقعة لمعاش، أو لذة في غير محرم).

وما روى عنه أيضاً في معناه (وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يتاجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرّب).

فإن هذه الساعة هوناً على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرّب لا ينبغي أن يخلو عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر، فإن الطعام الذي يتناوله فيلقيه من المعائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل مركز من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام:

قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر، وهذا مقام ذوى الأسباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكرامية.

ويلاحظون وجه الاضطراب إليه ويودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين، وقوم يرون في الصفة الصانع ويرتقون بها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك

سبباً لتذكر أبواب من الفكر تفتح عليهم بسببه، وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيه وكتابه وتصنيعه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع، وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله -عز وجل- فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إذا فتحت له أبواب الملكوت، وذلك عزيز جداً.

وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضروهم من جملة ويذجون منه ما لا يوافق هواهم ويميئون ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعملون أن الفاعل للطبيخ والطباخ وتقدرته ولعلمه هو الله تعالى.

وإن من ذم شيئاً خلق الله بغير إذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

#### المراطة الثالثة: محاسبة النفس بعد العمل

ولتذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها

أما الفضيلة فلقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾<sup>(١)</sup> وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر -رضي الله تعالى عنه-: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ورنوها قبل أن تورثوها وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: استوصت أنت، فقال: نعم، قال: إذا هممت بأمر فتدبر حقيقته فإن كان رشد فامضه وإن كان غياً فنته عنه. وفي الخبر ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾<sup>(٢)</sup> والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي ﷺ: «إني لاستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة». وقال الله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الحشر الآية ١٨. (٢) سورة النور الآية ٣١.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

وعن عمر -رضي الله عنه- إنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنة الليل ويقول لنفسه: ماذا فعلت اليوم، وعن ميمون بن مهران أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل.

وروى عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أن أبا بكر -رضوان الله عليه- قال لها عن الموت:

ما أحد من الناس أحب إليّ من عمر ثم قال لها: كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قال، فقال: لا أحد أعزّ عليّ من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها.

وحديث أبي طلحة حيث شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندماً ورجاء للعوض مما فاتته.

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فبذل له: يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال: أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة.

فقال: إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك، وهذا حساب قبل العمل، ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله.

وقال أنس بن مالك: سمعت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعتة يقول وبينه وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبتك وقال الحسن في قوله تعالى:

﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾<sup>(١)</sup> قال: لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشريتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه، وقال مالك بن دينار -رحمه الله تعالى- رحم الله عبداً قال لنفسه: ألتص صاحبك كذا، ألتص صاحبك كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه وقال ميمون بن مهران:

التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال إبراهيم التيمي:

مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها واشرب من أنهارها وأعانق أبقارها، ثم مثلت نفسي في النار أكل من رقومها واشرب من صليدها وأعالج سلاسلها وأغللها فقلت لنفسى: يا نفس أى شيء تريدني فقلت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قلت: فأنت في الأمانة فأعمل، وقال مالك بن دينار:

سمعت الحجاج يخطب وهو يقول:

رحم الله امرءاً حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرءاً أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به، رحم الله امرءاً نظر في مكياله، رحم الله امرءاً نظر في ميزانه فما زال يقول حتى أبكاني. وحكى صاحب للأحنف بن قيس قال كنت أصحب فكان عامة صلاته بالليل الدعاء، وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار، ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا.

### بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل الترصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب

سورة القيامة الآية (٢).

فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخسارة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياماً قليلاً فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به جلب الشقاوة والسعادة أبد الأبد ما هذه المأصلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك، ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليثبت له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بضمائه وكلفه تداركه في المستقبل.

فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه التوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جليلة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء ليحاسبها على الفرائض أولاً فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أجلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجيران بالتوافل، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاقبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الجنيه والقيطاط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يعبث في شيء منها فينبغي أن يتقى غيبة النفس ومكرها فإنها خداعة ملبة بمكاره فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طوال نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما لا سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكون؟

فلذا عرف مجموع الواجب على النفس وصلاح عنده قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه.

كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها يرد عنه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن

شيء من ذلك إلا بعد تحقيق لحساب وتمييز الباقي عن الحق الواجب عليه، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوماً يوماً وساعة ساعة.

في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقعة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي واحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ربلي ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم غر مغشياً عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى، فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجراً في داره لامتلات داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكن يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه.

#### المrabطة الرابعة

##### في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مفارقة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مفارقة المعاصي وأنت بها نفسه وعمر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها، بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل ثمرة شبهة شهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجرع، وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته، هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة.

فقد روى عن منصور بن إبراهيم أن رجلاً من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذهما ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست.

وروى أنه كان في بنى إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمناً طويلاً فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة فقال: ما هذا الذي أريد أن أصنع؟ فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال: هيهات هيهات رجلى خرجت تريد أن تعصى الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبداً فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك، وأنزل في بعض كتبه ذكره، ويحكي عن الجنيد قال: سمعت ابن الكريبي يقول: أصابتني ليلة جنابة فأصبحت أن اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيراً فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أقرأ أو أدخل الحمام ولا أشق على نفسي فقلت وا عجباه أنا أعامل الله في طول عمري، فيجب له على حق فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخير أليت أن لا اغتسل إلا في مرقعتي هذه وأليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس.

ويحكي أن غذوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر إليها غذوان فرفع يده فلطم عينيه حتى بقرت وقال: إنك بلحاظة إلى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طوال حياته فكان يشرب الماء الحار لينقص على نفسه العيش.

ويحكي أن حسان بن ستان مر بغرة فقال: متى بنيت هذه، ثم أقبل على نفسه فقال: تسالين عما لا يعنيك لأعاقبك بصوم سنة فصامها.

وقال مالك بن ضميم: جاء رياح القيسى يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا: إنه نائم.

فقال: نوم هذه الساعة هذا وقت نوم؟

ثم ولى متصرفاً فاتبعناه رسولاً وقلنا له: ألا نوقفه لك فجاء الرسول وقال: هو أشغل من أن يفهم عنى شيئاً أدركته وهو يدخل مقابر وهو يعاتب نفسه ويقول: أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينال الرجل منى شاء وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تتكلمين عا لا تعلمين، أما إن الله على عهدك لا أنقضه أبداً لا أوسدك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض حائل أو لعقل زائل سواء لك أما تسبحين كم توبخين وعن غيبك لا تتبين.

قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكانى فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته.

ويحكي عن تميم الداري أنه نام ليلة لم يقم فيها يتعبد فقام من لم ينم فيها عقوبة الذي صنع.

وعن طلحة -رضي الله عنه قال:-

انطلق رجل ذات يوم فتزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء فكان يقول لنفسه: ذوقى ونار جهنم أشد حراً أجيفة بالليل بطالة بالنهار فينبه هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة فأنابه فقال: غلبتني نفسي فقل له النبي ﷺ: ألم يكن لك بد من الذي صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أحكم فجعل الرجل يقول له: يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي ﷺ: عمهم فقال: اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي ﷺ يقول: اللهم سدهم، فقال الرجل: اللهم اجعل الجنة مأبهم.

وقال حذيفة بن قتادة: قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهراتها؟ فقال: ما على وجه الأرض نفس أبغض إليّ منها، فكيف أعطيها شهواتها ودخل بن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على اتراب فقال: يا داود سجن نفسك قبل أن تسجن، وعذبت نفسك قبل أن تعذب فاليوم ترى ثواب ما كنت تعمل له.

وعن وهب بن منبه

أن رجلاً تعبد زمناً ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبباً يأكل في كل سبت إحدى عشرة ثمرة، ثم سأل حاجة فلم يعطها فرجع إلى نفسه، وقال: منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فنزل إليه ملك وقال: يا بن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك.

وقال عبدالله بن نيس: كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت، ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت: لأرفضه اليوم فرضته فحمل الناس على عدوهم فكان في أرائلهم ثم إن العدو حمل على الناس فأنكشفوا فكان في موضعه حتى أنكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك رايه حتى رايته سريعاً فغددت به ستين أو أكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك، وأن عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم؟

وهن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوق بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه الصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه: ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا.

وانكر وهيب بن الورد شيئاً على نفسه فتفت شعرات على صدره حتى عظم الله ثم جعل يقول لنفسه ويحك إنما أريد بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إنطاره خبزاً بغير ملح فقال له: لو أكلته بملح لقال: إن نفسي لتدعوني إلى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحاً مادام في الدنيا.

فهكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار ويفوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدو لك وأشد طغياناً عليك وضرك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنقص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها.

#### المرابطة الخامسة المجاهدة

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرأها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها بالمعصيات التي مضت وإن رآها تتواني بحكم لكمل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤديها بتفيل الأوراد عليها ويلزمها فتوراً من الوظائف جبراً لما فات منه وتداركاً لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حيث فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة

المغرب حتى طلع كوكبًا فاعتق رقبتين وقات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل له على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيًا أو التصديق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها، فإن قلت إن كانت نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فى سبيل معالجتها.

فأقول: سبيلك فى ذلك أن تسمعها ما ورد فى الأخبار من فضل المجتهدين ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد فى العبادة.

فتلاحظ أقواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول: إذا اعترتنى فترة فى العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهداه فعملت على ذلك أسبوعًا، إلا أن هذا العلاج قد تعذر إذ قد فقد فى هذا الزمان من يجتهد فى العبادة اجتهد الأولين، فينبغى أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الأبد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمنع نفسه أيامًا قلائل بشهوات مكفرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أبد الأبد نعوذ بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضلهم ما يحرك رغبة المريد فى الاجتهاد واقتداء بهم فقد قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أقوامًا يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى».

قال الحسن: أجهدتهم العبادة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾<sup>(١)</sup> قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر

سورة المؤمنون الآية ٦٠ .

ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله، وقال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله». ويروى أن الله تعالى يقول ملائكته: ما بال عبادى مجتهدين فيقولون: إلهنا خوفتم شيئًا فخافوه وشوقتم إلى شيء فاشتاقوا إليه، فيقول الله تبارك وتعالى: فكيف لو رأتى عبدى لكانوا أشد اجتهاد وقال الحسن: أدركت أقوامًا وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهم كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تظؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم يعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة ضمام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئًا قط وأدركتهم عملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل قيام على أطرافهم يفتشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم إذا عملوا أحسنه فرحوا بها ودأبوا فى شكر وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة حزنتمهم وسألوا الله أن يفرها لهم والله مازالوا كذلك، وعلى ذلك، والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة.

ويحكى أن قومًا دخلوا على عمر بن عبدالعزيز يعودونه فى مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له: يا فتى ما الذى بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض، فقال: سألتك باقه ألا صدقتنى، فقال: يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأنى أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظلمات لذلك نهارى وأسهرت ليلى وقليل حقير كل ما أنا فيه من جنب ثواب الله وعقابه.



نعم بكيت دماً فقلت له: على ماذا بكيت الدموع فقال: على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لثلاث يكون ما صلحت لي الدموع قال: فرأيت بعد موته في المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي قلت له: فماذا صنع في دموعك فقال: قريني ربي - عز وجل - وقال لي: يا فتاح الدموع على ماذا، قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك، فقال: والدم على ماذا؟ قلت: على دموعي إن لا تصلح لي فقال لي: يا فتاح ما أردت بهذا كله، وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل: إن قوماً أرادوا سفراً فحادوا عن الطريق فانتهاوا إلى راهب منفرد بين الناس فتأدوه فأشرف عليهم صومعة فقالوا: يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأتوا برأسه إلى السماء فعلم القوم ما أراد فقالوا: يا راهب إنا سألوك فهل أنت مجيبنا؟

فقال: سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطلاب حثيث.

فمجب القوم من كلامه فقالوا: يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال: على نياتهم فقالوا: أوصنا. فقال: تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية ثم أرشدكم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته.

وقال عبد الواحد بن زيد: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فتأديته يا راهب فلم يجبني فتأديته الثانية فلم يجبني فتأديته الثالثة فأشرف على وقال: يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله في

سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبت نفسي في هذه الصومعة عن الناس لثلاث أعقرهم فقلت: يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد أن عرفوه؟

فقال: يا أحمى لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وريتها، لأنها محل المعاصي والذنوب والعاقلة من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه، وأقبل على ما يقربه من ربه.

وقيل لداود الطائي: لو سرحت لحيتك فقال: إني إذن لفارغ وكنت أويس القرني يقول: هذه ليلة الركوع فيبكي الليل كله في ركعة، وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود.

وقيل لما تب عتبة الغلام كان لا يثبنا بالطعام والشراب فقالت له أمه: لو رفقت بنفسك قال: الرفق أجلبني دعيني أتعب قليلاً وأتعم طويلاً، وحج سروق فما نام قط إلا ساجداً.

وقال سنان الثوري: عند الصباح يحمد القوم السري وعند المساء يحمد القوم النقي.

وقال عبد الله بن داود: كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا يتام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه: قومي يا مأوي كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي ويقول: ذهب نصف عملي. وكانت ابنة



صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فم  
النهار. ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي  
تعالى عنه- أنه قال: صليت خلف علي -رضي الله  
فلما سلم انتقل عن يمينه وعليه كآبة فمكت حتى طلع  
يده وقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ و  
يشبههم كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً قد باتوا لله  
كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا  
يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل  
باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان أبو مسلم الخو  
في مسجد بيته يخوف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قد  
بك حتى يكون الكلل منك لا منى فإذا دخلت ال  
وضرب به ساقه ويقول: أنت أولى بالضرب من دا  
أظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا دوننا كلا وا  
رحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلقوا وراءهم رجلاً.

وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من  
الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غداً ما وجد متزايداً  
اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الص  
البيوت ليسجد الحر فلا ينام وإنه مات وهو ساجد وإذا  
إني أحب لقاءك فأحب لقائي.

وقال القاسم بن محمد غدت يوماً وكنت إذا  
-رضي الله عنها- أسلم عليها فغدوت يوماً إليها فإ

الريبع بن خيثم تقول له: يا أبت ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام،  
فيقول: يا ابتاه إن أباك يخاف البيات ولما رأت أم الربيع ما يلقى الربيع  
من البكاء والسهرة نادته يا بني لعلك قتلت قتيلاً، قال: نعم يا أمه  
قالت: فمن هو حتى تطلب أهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما أنت  
فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول: يا أمه هي نفسي.

وعن عمر بن أخت بشر بن الحرث قال: سمعت خالي بشر بن  
الحرث يقول لأمي: يا أختي جوفي وغصاصري تضرب علي فقالت له:  
أما يا أختي تأذن لي حتى أصليح لك قليل حساء بكف دقيق عندي  
تتحسأه يرم جوفك فقال لها: ويحك أضاف أن يقول من أين لك هذا  
الدقيق؟ فلا أدري إيش أقول فبككت أمه وبكى معها وبكى معهم. قال  
عمر ورأت أمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضعيفاً فقالت  
له أمي: يا أختي ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطعت كبدي عما أرى بك  
فسمعتة يقول لها وأنا: فليت أمي لم تلدني وإذا ولدتنى لم يدر نديها  
على.

قال عمر: وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار وقال الربيع: مكانه  
حتى صلى الظهر ثم قال: إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس  
موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى العشاء ثم ثبت مكانه  
حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال: اللهم إني أعوذ بك يا  
أبا عبدالله مالي أراك كذلك مريض فقال: وما لأويس أن لا يكون مريضاً  
يطعم المريض وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساء  
أنيت إبراهيم بن أدهم نوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه

بعباءة ثم رمى نفسه فلم ينقلب من جنب إلى فقلت له: رحماك  
الله قد تمت الليل كله مضطجعاً ثم لم تجد الرضوء فقالت: كنت الليلة  
كله جائلاً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك  
نوم.

وقال ثابت البناني: أدركت رجلاً كان أحدهم يصلي فيعجز عن أن  
يأتي فراشه إلا جبراً، وقيل: مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا  
يضع جنبه على فراش ونزل الماء في إحدى عينيه فمكت عشرين سنة لا  
يعلم به أهله وقيل: كان يقرأ، «قل هو الله أحد»<sup>(١)</sup> إحدى وثلاثين ألف  
مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي، وكان منصور بن المعتمر يقرأ رايته  
قلت: رجل أصيب بمصيبة منكر الطرف منخفض الصوت طب العينين إن  
حركته جاءت عيناه بأربع، ولقد قالت له أمه: ما هذا الذي تصنع  
بنفسك تبكي الليل عامته لا نكت لعلك يا بني أصبت نفسك لعلك  
قتلت قتيلاً؟

فيقول: يا أمه أنا أعلم بما صنعت نفسي، وقيل لعامر بن عبدالله:  
كيف صبرك على سهر الليل وطعم الهواجر، فقال: هو إلا أنني صرفت  
طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر  
وكان يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طليها، ولا مثل النار نام هاربها  
وكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم فما ينام حتى إذا جاء  
النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمس فإذا جاء الليل قال:  
من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعضهم:

(١) سورة الإخلاص الآية (١).

الصبيحتين حتى صباح . وعندهم القاسم بن راشد الشيباني قال : كان دمه نازلاً عندنا بالمحصب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيؤاثبون فيسمع من ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى .

وقال بعض الحكماء : إن لله عبادةً أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتاً للحكمة وتوايت للفتنة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تحول في الملكوت وتلوذ محجوب الغيوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفاً أن يصفه فهم قس باطن أمورهم كالديساج حسناوهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعاً وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذا هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية : ﴿يوم نحمد كل نفس ما عملت من خير محضراً .. إلى قوله تعالى : ويحذركم الله نفسه﴾<sup>(١)</sup> قال : فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر مغشياً عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت إساقته فأفاق بعد ساعة فسمعتة وهو يقول : أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ

(١) سورة آل عمران الآية ٣٠ .

بك من أعمال الباطلين أعوذ بك من إغراض الغافلين ثم قال : خشعت قلوب الجافلين وإليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال : ما لى وللدنيا وما للدنيا ولى عليك يا دنيا بأبناء جنسك وإلا فى نعيمك إلى محبيك فاذهبي وإياهم فإخذعي ثم قال : أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة فى التراب ييلون وعلى الزمان يفنون فناديت يا عبدالله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراكك فقال : وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه؟ أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت أيامه؟ ثم قال : أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لها عنى ساعة وقرا ﴿وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾<sup>(١)</sup> ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشياً عليه فقلت : قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول : من أنا ، ما خاطري ، هى لى أساءت من فضلك وجللنى بترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له : بالذى ترجوه لنفسك وثق به ألا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه إني فى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عوناً على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك فأليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال : فقلت : هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضوعى هذا فانصرف وتركتة ، وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير فى مسير لى إذ ملت إلى شجرة لاستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد اشرف على فقال لى : يا

(١) سورة الزمر الآية ٤٧ .

هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى فى الموت فقلت: وفيما بعد الموت فقال: من أبقن بما بعد الموت شد مثلر الحذر ولم يكن ثم فى الدنيا مستقر له قال: يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر إليك واملا قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذل التوبيخ غداً عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع من الإعراض عنك ثم قال: لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوكم لم ينسبط فيما عندك أملى ثم مضى وتركنى وقد أنشدوا فى هذا المعنى:

نحيل الجسم مكتتب الفؤاد	تراه بقمة أو بطن وادى
ينوح على معاصى فاضحات	يكدر ثقلها صفو الرقياد
فإن هاجت مخاوفه وزادت	فدعوته أغثنى يا عمادى
فانت بما الاقيه عليهم	كثير الصنف عن ذلل العباد

وقيل أيضاً:

الذ من التلذذ بالفوانى	إذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال	يسبح إلى مكان من مكان
لتحمل ذكره ويعيش فردا	ونظفر فى العبادة بالامانى
تلذذه التلاوة أين ول	وذكر بالفوائد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير	يشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى	من الراحة فى غرف الجنان

وكان كسر بن ويرة يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة فقل له: قد أجهدت نفسك فقال: كم

عمر الدنيا؟ فقبل سبعة آلاف سنة، فقال: كم مقدار يوم القيامة؟ فقبل خمسون ألف سنة، فقال: كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعنى إنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لما كان ربحك كثيراً وكنت بالرغبة فيه جدير فكيف وعمرك قصير والآخرة لا نهاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين فى مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطعن أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أفجع فى القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخير كالمدينة وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم تكن إلى فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذو البصائر فى الدنيا وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترضى لها أن تنخرط فى سلك الحمقى وتفتن بالنسبة بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقرباء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستكفى أن تكونى أقل من امرأة فاحسى برجل يقصر عن امرأة فى أمر دينها ودنياها، ولذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات.

فقد روى عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت عنى سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت: إلهى قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت: إلهى هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فانت أم

رددتها على فاعزى وعزتك لهذا دأبى ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو  
انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع على نفسي من وجودك وكرمك .

ويروى عن عفرة أنها كانت تحمى الليل وكانت مكفوفة البصر فإذا  
كان في السحر نادت بصوت لها محزون إليك قطع العابدون دجى  
الليالى يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فيك يا إلهى أسألك لا  
بغيرك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين وأن ترفعنى لديك فى عليين من  
درجة المقربين وأن تلحقنى بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم  
العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وصية ثم لا  
تزال تدعو وتبكي إلى الفجر .

وقال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما  
تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لى لو أتيناها إذ خلت فأمرناها  
بالرفق بنفسها فقال: أنت وذاك قال: فأتيناها فقلت لها: لو رفقت  
بنفسك واقتصرت من هذا البكاء شيئاً فكان لك أقوى على ما تريد  
قال: فبكيت ثم قالت: والله لوددت أن أبكى حتى تنفد دموعى ثم أبكى  
دماً حتى لا تبقى قطرة من دم فى جارحة من جوارحى وأنى لى بالبكاء  
فلم تزل تردد وأنى لى بالبكاء حتى غشى عليها .

وقال محمد بن معاذ: حدثتني امرأة من المتعبدات قالت: رأيت فى  
منامى كائى دخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت: ما شأن  
أهل الجنة قيام فقال لى قائل: خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التى  
رخرفت شعوانة الجنان لقدومها فقلت: ومن هذه المرأة فقيل: أمة سوداء  
من أهل الأيكة يقال لها شعوانة قالت: فقلت: أختى والله قالت فيبينما

أنا كذلك إذ أقبل بها على نجية تطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديت  
يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألحقنى بك  
قالت: فتبسمت إلى وقالت: لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين:  
الزمنى الحزن من قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولا يضرك متى وقال  
عبدالله بن الحسن: كانت له جارية رومية، وكنت بها معجباً فكانت فى  
بعض الليالى نائمة إلى جنبى فانتبهت فالتصتها فلم أجدها فقامت أصحبها  
فإذا هى ساجدة وهى تقول: بحبك لى إلا ما غفرت لى ذنوبى فقلت  
لها: لا تقولى بحبك لى ولكن قولى: بحبى لك، فقالت: يا مولاي  
بحبه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام وبحبه لى أيقظ عينى وكثير من  
خلقه نيام .

وقال أبو هاشم القرشى: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال  
لها: سرية فتزلت فى بعض ديارنا قال: فكنت أسمع لها من الليل أنيناً  
وشهيقاً فقلت يوماً لخدام لى: أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع؟ قل:  
فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهى  
مستقبلة القبلة تقول: خلقت سرية ثم غذبتها بنعمتك من حال إلى حال  
وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك  
متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن أنك  
لا ترى سوء فعالها، وأنت عليم خبير وأنت على كل شىء قدير .

وقال ذو النون المصرى: خرجت ليلة من وادى كنعان فلما عنوت  
الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا  
يحتسبون»<sup>(١)</sup> . ويبكى فلما قرب منى السواد إذا هى امرأة عليها جبة

(١) سورة الزمر الآية ٤٧ .

صوف ويدها ركوة فقالت لى: من أنت غير فزعة منى؟ فقلت: رجل غريب فقالت: يا هذا وهل يوجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت لقلها لى فقالت لى: ما الذى أبكاك؟ فقلت: قد وقع الدواء على داء قد قرخ فأسرع فى لمجأه قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله، والصادق لا يبكى قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت: لأن البكاء راحة القلب فسكت متعجباً من قولها.

وقال أحمد بن على: استأذنا على عفرة، فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول: اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك، ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها: يا أمة الله ادعى لنا فقالت: جعل الله قراكم فى بيتى المغفرة، ثم قالت لنا: مكث عطاء السلمى أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فخانت منه نظرة فخر مغشياً عليه فأصابه فتق فى بطنه فيا ليت عفرة إذا رفعت رأسها لم تعصى ويا ليتها إذا عصت لم تعد.

وقال بعض الصالحين: خرجت يوماً إلى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبتها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت: لا تبرحى حتى أنصرف إليك قال: فانصرفت فلم أجدها فى الموضع فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت: يا مولاي لا تعجل على إنك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرًا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقلها وقلت لها: أنت حرة فقالت: ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما.

وقال ابن العلاء السعدى: كآت لى ابنة عم يقال لها: بريرة تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكى فلم تزل تبكى حتى ذهبت حينها من البكاء فقال بنو عمها: انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعزلها فى كثرة البكاء قال: فدخلنا عليها فقلنا يا بريرة كيف أصبحت؟ قالت أصبحتنا أضيقاً منيخين بأرض غربة نتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها: كم هذا البكاء؟ قد ذهبت عيناك منه فقالت: إن يكن لعينى عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منها فى الدنيا، وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت قال: فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شىء غير ما نحن فيه. وكانت معاذة العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى فإذا جاء الليل تقول: هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح.

وقال أبو سليمان الداراني: بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها، وقمت أنا إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت: ما جزاء من قرأنا على قيام هذه الليلة قالت: جزاؤه أن تصوم له غداً.

وكانت شعوانة تقول فى دعائها: إلهى ما أشوقنى إلى لقائك وأعظم رجائى لجزائك، وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك الآملين، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين، إلهى إن كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عمل فقد جعلت الاعتراف بالذنوب وسائل على فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذت فمن أعدل منك هنالك إلهى قد جرت على نفسى

فى النظر لها وبقي لها حسن نظرك، فالويل لها إن لم تسعدها، إلهى  
إنك لم تول بى برك أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ولقد رجوت  
عن تولانى فى حياتى بإحسانه أن يسعفى عند مماتى بغفرانه، إلهى كيف  
أياس من حسن نظرك بعد مماتى ولم تولنى إلا الجحيم فى حياتى، إلهى  
إن كانت ذنوبى قد أخافتنى فإن مجيئى لك قد أجارته فتول من امرى ما  
أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله، إلهى لو أردت إهانتى لما  
هديتنى ولو أردت فضيحتى لم تسترنى فمتعنى بما له هديتى وأدم لى ما  
به سترتنى إلهى أظنك تردنى فى حاجة أفنيت فيها عمرى، إلهى لولا ما  
قرفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت  
ثوابك.

وقال الخواص: دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى  
اسودت، وبكت حتى عميت، وصلت حتى أقعدت وكانت تصلى قاعدة  
فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو ليهون عليها الأمر قال:  
فشهقت، ثم قالت: علمى بنفسى فرح فزادى وكلم كبدى والله لوددت  
أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئاً مذكوراً ثم أقبلت على صلاتها.

فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال  
الرجال والنساء من المجتهدين ليتبع نشاطك ويزيد حرصك، وإياك أن  
تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن  
سبيل الله، وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر  
وإن أردت مزيداً فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب «حلية الأولياء» فهو  
مشمول على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه

يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فإن حدثتك نفسك  
بالنظر إلى أهل زمانك، وقالت: إنما تيسر الخير فى ذلك الزمان لكثرة  
الأعوان والآن فإن خالفت أهل زمانك راوك مجنوناً وسخرؤا بك  
فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك إلا ما يجرى عليهم، فإن  
المصيبة إذا عمت طابت فإياك أن تسدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها  
وقل لها أرايت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على  
موضعهم ولم يأخذوا حلهم لجهلهم لحقيقة الحال وقدرت أنت على أن  
تفارقهم وتركبى فى سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج فى  
نفسك أن المصيبة إذا عمت طابت أم تركبى موافقتهم وتستجھلبنهم فى  
صنيعهم وتأخذين حلرك بما دهاك فإذا كنت تركبى موافقتهم خوفاً من  
الغرق، وعذاب الغرق لا ينادى إلا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب  
الأبد وأنت متعرضة له فى كل حال؟ ومن أين تطيب المصيبة إذا عمت؟  
ولأهل النار شغل شاغلى الالتفات إلى العموم والخصوص ولم يهلك  
الكفار إلا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا: «إنا وجدنا آباءنا على أمة  
وإنا على آثارهم مقتدون»<sup>(١)</sup> فعليك إذا اشتغلت بمعاتبته نفسك وحملها  
الاجتهاد فاستعصت أن لا تترك معاتبته وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء  
نظرها لنفسها لعلها تنزجر عن طغيانها.

#### (المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبته)

اعلم أن إحدى عدوك نفسك التى بين جنبك، وقد خلقت أماره  
بالسوء ميالة إلى الشر فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها  
بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها، ومنعها عن شهواتها وفطامها عن

(١) سورة الزخرف الآية ٢٣.

وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وإن لارمتها  
واللامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي  
نصير النفس المظلمة المدعوة إلى أن تدخل في  
بها فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا  
شتغل أولاً برعظ نفسك.

عيسى عليه السلام يابن مريم عظ نفسك فإن  
ستحي مني وقال تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرى

بها فتقرر عندها جهلها وغبوتها وأنها أبداً  
يشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحق  
عظم جهلك تدهين الحكمة والذكاء والفتنة  
معاً، أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار  
ما على القرب فماتك تفرحين وتضحكين

خففين... وأعرض عني...  
ما هو...  
من...  
دون...  
للإنسان إلا ما سعى

وهو أقرب إليك من كل قريب أما تدبرين قوله تعالى: ﴿اقرب  
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم  
محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم﴾<sup>(١)</sup> ويحك يا نفس إن  
كانت جرائدك على معصية الله لاعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفره  
وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حيائك  
ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهه  
كيف كان غضبك عليه ومقتك له قبأي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه  
وشديد عقابه افطنين أنك تطفين عذابه هيئات هيئات جري نفسك إن  
الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أوفى بيت الحمام  
أو قربي أصبعك من النار لئتين لك قدر طاعتك أم تغترين بكرم الله  
وفضله واستغفاله عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله  
تعالى في مهمات دنياك فإذا قصدك حدو فلم تستبطين الحيل في دفعه  
ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقت حاجة إلى شهوة من شهوات  
الدنيا عما لا ينقضى إلا بالدينار والدرهم فمالك تزعين الروح في أجها  
وتحصلها من وجه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يجر  
عبدك من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي  
سبين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت  
يل لها، وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن جس  
، ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودواعيك الباطلة  
بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سبك:  
دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾<sup>(٢)</sup> وقال في أمر  
للإنسان إلا ما سعى﴾<sup>(٣)</sup> فقد تكفل لك بأمر الدنيا  
ن السعي فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكاليين على

(٣): (٢) سورة هود الآية ٦.

طلبها تكالب المدهوش المستهتر وركل أمر الآخرة إلى مسبك فاعرضت عنها إعراض المفرور المستحقر ما هذا من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار.

ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات. اتحسين أنك تتركين سدى ألم تكوني نطفة من منى بمنى ثم كنت حلقة فخلق فسوى، اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك واجهلك أما تفكرين أنه لماذا خلقك من نطفة فقدرك ثم السيل يسرك ثم أماتك فأبورك افتكذبينه في قوله، ثم إذا شاء أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فمالك لا تأخذين حلوك ولو أن يهوديًا أخبرك في الد طعامك بأنه يضررك فأمرضك فصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه، أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيراً من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم، والعجيب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك حقيراً لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان، أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء، أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكاليها ورقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسّن بالمها إلا يوماً أو أقل ما هذه أفعال العقلاء، بل لو انكشفت للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من صفك فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وأمنت به فمالك تسوفن العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فيما إذا أمنت استعجال الأجل وهبك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة

أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدّر على قطع العقبة بها، إن قتلت ذلك فما أعظم جهلك.

أرايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فأقام فيها سنين متعطلاً بطالاً يعد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أنفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حبيته أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتماداً على كرم الله سبحانه وتعالى.

ثم هي أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى.

فلعل اليوم آخر عمرك.

فلم لا تشتغلين فيه بذلك فإن أوصى إليك بالإمهال فما المانع من المبادرة وما البعث لك على التسويف؟ هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة؟

انتظرين يوماً يأتيك لا تعرف فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط إلا محضوفة بالمكارة ولا تكون المكارة قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتاملين مذ كم تعدين نفسك وتقولين: هذا غداً فقد جاء الغد.

وصار يوماً فكيف وجدته أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوماً كان له حكم بالأمس بل تعجزين عنه اليوم فانت غداً عنه أعجز وأعجز، لأن الشهوة كشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى









بيع منهم بالدنيا بعدا فيراها لا يشتره لو قدروا عليه، وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة.

ويحك يا نفس، أما تستحين تزينين ظاهرك للخلق، وتبازرين الله في السر بالعظائم، أفستحين من الخلق، ولا تستحين من الخالق. ويحك، أهو أهون الناظرين عليك أأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالذائل تدعين إلى الله وأنت فارة، وتذكرين بالله وأنت له ناسية.

أما تعلمين يا نفس أن المذنب أنتن من العذرة، وأن العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك.

ويحك يا نفس، لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك

ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حماراً لإبليس يفودك إلى حيث يريد ويسخر بك.

ومع هذا فتعجبين بعملك، وفيه من الآفات ما لو لمحوت منه رأساً برأس لكان الربح في يديك، وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وذلك وقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة.

وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه، ويحك يا نفس ما أقلرك، ويحك يا نفس ما أوقحك، ويحك يا نفس ما أجهلك.

وما أجرك على المعاصي، ويحك كم تعقدين فتفضين، ويحك كم تعقدين فتعلمين، ويحك يا نفس أنتشغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنيك

كانك غير مرتحلة عنها أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثير وبنوا مشيداً وأملوا بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنائهم قبوراً وأملهم غروراً، ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أنظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما توهمين ما أنت إلا في هرم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني على وجه الأرض قصرك فإن بطنها عن قليل يكون قبرك.

أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقى أن تبدو رسول ربك منحدره إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل يتفعل حيثلذ الندم أو يقبل منك الحزن.

أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس إنك مع هذا تدعين البصيرة والفتنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك.

ولا تحزينين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص، ويحك يانفس، تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك.

فكم من مستقبل يوماً لا يستكملهم وكم من مؤمل لغد لا يبلغه فانت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فأحذري أيتها النفس المسكينة يوماً إلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلايته.

فانظري يا نفس بأى بدن تفتنين بين يدي الله وبأى لسان تحييين وأعدى للسؤال جواباً وللجواب صواباً.

واعملى بقية عمرك فى أيام قصار لا أيام طوال وفى دار زوال لدار مقام.

وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملى قبل أن لا تعملى  
اخرجى من الدنيا اختيار خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على  
الاضطرار ولا تفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا.

قرب مسرور مغبون، ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا  
يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب  
الله أنه من وقود النار، فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتباراً وسعيك  
لها اضطراراً ورمقك لها اختياراً وطلبك للأخرة ابتداراً ولا تكونى ممن  
يعجز عن شكر ما أوتى ويتغنى الزيادة فيما بقى وفيها الناس ولا ينتهى.

واعلمى يا نفس أنه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد  
خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار.

فإنه يسار به وإن لم يسر فاتعظى يا نفس بهذه الموعظة واقبلى هذه  
النصيحة فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية  
ولا لهذه الموعظة واعية فإن كانت المساواة تمنعك عن قبول الموعظة  
فاستعينى عليها بدوام التهجيد والقيام، فإن لم تذلل فبالمواظبة على القيام  
فإن لم تذلل فبقلة المخالطة والكلام، فإن لم تذلل فبصلة الأرحام واللطف  
بالإيتام، فإن لم تذلل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه وأنه  
قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئى نفسك على النار،  
فقد خلق الله الجنة، وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً، فكل  
ميسر لما خلق له فلم يبق فيك مجال للوعظ.

فاقنطى من نفسك، والقنوط كبيرة من الكبائر، نعوذ بالله من ذلك  
فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء.

مع انسداد طرق الخير عليك. فإن ذلك اغترار وليس برجاء فانظرى  
الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التى ابتليت بها تسمح وهل  
تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت فستقضى الدعاء  
مع بحر الرحمة فقد بقى فيك موضع للرجاء فواظبى على النياحة والبكاء  
واستعينى بأرحم الراحمين، واشتكى إلى أكرم الأكرمين وأدمنى  
الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغنىك فإن  
مصيبتك قد عظمت وبلبتك قد تفاقت وتماديت قد طال وقد انقطعت  
منك الحيل. وراحت عنك العلل.

فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجأ  
إلا إلى مولاك.

فأفرغى إليه بالتفرغ واخشعى فى تضرعك على قدر عظم جهلك  
وكثرة ذنوبك، لأنه يرحم المتضرع الذليل ويغنى الطالب المتلهف ويجب  
دعوة المضطر.

وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت  
بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجح فيك  
العظات.

بهذا يكون هذا الكتاب قد تم بحمد الله وتوفيقه، وفى هذا القدر  
كفاية لمن وقف عن قول الله تعالى ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك  
حسيباً﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) سورة الإسراء الآية ١٤.

## فهرس كتاب

الصفحة

٥	مقدمة الكتاب
٨	فصل . فيما يرقق القلب ويملؤه خشوعاً وخشيتة لله تعالى
١٠	فصل . إياك والجن وكن شجاعاً
١٣	واجب المسلمين
١٤	فصل . مرض الرسول ﷺ ووفاته
٢٣	دفن الرسول ﷺ
٢٧	زيارة القبور
٣٠	حكمة زيارة القبور
٣١	ما ينفع الميت من الأعمال
٣٢	ما ينفعه من أعمال غيره
٣٨	سؤال القبر
٤١	نصوص نبوية صحيحة
٤٨	أسباب عذاب القبر
٥١	فضل القرآن ومدارسته
٥٢	فضل القرآن ، وحافظ القرآن
٥٧	النجاة من عذاب القبر
٦٢	فضل ذكر الله
٦٤	مستقر الأرواح
٦٧	كلمة عن الروح
٦٩	ابن القيم والعلاقة بين الحى والميت
٧٤	إستئناس الميت بالمشيعين لجنازته
٧٦	تعلقات الروح بالبدن
٧٧	ملاحظة جديدة بالاعتبار
٧٨	فصل . المراقبة والمحاسبة